مجلة القنطار للعلوم الإنسانية والتطبيقية

سلسلة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن

الفرح من منظور قرآني: دراسة موضوعية

الدكتور فيصل بكر أحمد

كلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية-جامعة جزر القمر

تاريخ التقديم 2023/12/15، تاريخ إرسال التعديلات2024/3/1 ، تاريخ النشر 2024/4/30 - Received 15/12/2023 Revised:1/3/2024 Accepted: 30/4/2024

الملخص :يهدف هذا البحث إلى استقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ «الفرح» باشتقاقاته ومرادفاته، ودراستها دراسة موضوعية، تفضي إلى إعطاء صورة متكاملة عن كيفية معالجة القرآن الكريم لشعور الفرح الذي يعدُّ من أهم المشاعر الإنسانية التي تصبو إليها البشرية قاطبة في حياتها الدنيوية، وينشدها المؤمنون في دار القرار.وقد تكوّن هذا البحث من تمهيد وخمسة مباحث، تضمن **التمهيد** تعريفاً بالفرح لغة واصطلاحاً، وبعض الكلمات المرادفة له الواردة في القرآن، مع الوقوف على بعض الفروقات الدلالية بينها. وتحدث **المبحث الأول** عن أمارات الفرح وعلاماته في القرآن الكريم. وخُصِّص الحديث في **المبحث الثاني** لمصادر الفرح. وتحدث **المبحث الثالث** عن أنواع الفرح بالنظر إلى المتأثر بمصادره. وفي **المبحث الرابع**، كان الحديث عن حكم الفرح وأصناف الناس فيه. أما **المبحث الخامس** الأخير فتحدث عن زمن وقوع الفرح؛ بناء على أنواع الحياة التي يحياها الإنسان.

الكلمات المفتاحية: الفرح، السرور، الحبور، التفسير الموضوعي.

Abstract : This research aims to analyze the Quranic verses that mention the term "joy" along with its derivations and synonyms, and to study them objectively. The goal is to provide a comprehensive picture of how the Quran addresses the feeling of joy, which is one of the most important human emotions sought by all of humanity in their worldly lives and aspired to by believers in the Hereafter. The research is divided into an introduction and five sections. The introduction defines joy both linguistically and terminologically, includes some synonymous words found in the Quran, and discusses some semantic differences between them. The first section addresses the signs and indicators of joy in the Quran. The second section is dedicated to the sources of joy. The third section discusses the types of joy based on its sources. The fourth section covers the rules of joy and the different categories of people in relation to it. The fifth and final section discusses the timing of joy based on the different types of life a person experiences.

Keywords: Joy, happiness, delight, thematic interpretation.

4/30/2024

مقدمة

الحمد لله الذي أضحك وأبكى، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبيّ الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين أسعد الناس في الدارين، وبعد:

فإنّ العالم الذي نعيش في جنباته، ونتقلب في حضارته يعجّ اليوم بالملهيات أكثر من أي وقت مضى، يتفنن فيه الإنسان بما أوتي من علم بكلّ ما يشبع نهمه وحاجاته، وما يرضي غرائزه ونزواته، يتسابقون فيه في كلّ واد ونادٍ بحثاً عن السعادة المنشودة، والطمأنينة المفقودة، ازدادت فيه الملذات والشهوات والمنسيات وكلّ ما من شأنه أن يمتع هذا الجسد.

إنها حضارة قرن الواحد والعشرين الذي يركض فيه ذووه ويلهثون إلى كلّ ما يخرجهم من سجن شقاوتهم البلقع، وينسيهم مُرّ أيامهم العلقم. ولكنّك مع هذا تلتفت يمنة ويسرة، فتجد رغم هذا التسابق الرهيب نحو ما يورث في القلب بهجة وحبوراً، وفي الوجوه نضرةً وسروراً، أنّ الشقاء ملء أسماعهم وأبصارهم، يركبون المراكب الفارهة، فتبحث عن سرّها في نفوسهم فلا تسمع إلا أنين الكئيب، يتفننون في الطيبات وما لذّ وطاب من المأكل والمشرب والملبس، فتنقب عن أثرها في قلوبهم مسرّةً فيأتيك منها نحيب التعاسة والشكوى، يتطاولون في البنيان ويتفاخرون في المتكآت والممتلكات، فتسبر أغوارهم وتغوص في أعماقهم، فيتردد منها صدى الأسى والتبرم من الحياة، جيوبهم ملئية بالدرهم والدولار، ووجوههم كالحة عابسة باسرة مكفهرّة، تعرفهم ردهات العيادات النفسية المنتشرة في كلّ ناحية ومصر انتشار النار في الهشيم، يسير أحدهم فوق الكنوز وموائده عامرة، ثم يقرر في لحظة يائسة بائسة أن ينهي حياته بالموت الرحيم فينتحر بعد أن افتقد مذاق العيش ولذّة الحياة.

ثمّ تعود القهقرى أربعة عشر قرناً إلى ذلك المكان القفر في تلك الصحراء القاحلة، حيث شظفُ العيش وقلة الزّاد والمؤن، فتجد تلك الثلة المؤمنة التي عاشت على كسرة خبز وشقة تمر، تعلو جباههم النضارة والنور والبهاء، ويغمر قلوبهم الرضا والسكينة والطمأنينة والسعادة والفرح.

فتسأل نفسك متعجّباً: لم كلّ هذا؟! وما سرّ أولئك وهؤلاء؟! فيأتيك جوابه من القرآن الكريم، إنّه ذلك المنهج الذي اصطبغ به أولئك فسُعدوا وسادوا على الرغم من قلة ذات يدهم وعوزهم! وضيّعه أولئك ورمَوه وراءهم ظهرياً في سباقهم المحموم نحو الملذات والشهوات فشقُوا وتاهوا!!

لذلك فالعلاج واضحٌ وبيّنٌ، وهو العود الحميد إلى منهج القرآن والاصطباغ به، وتعرّف السبل والوسائل التي تسعد الإنسان وتفرحه، وتحميه من أن يقع في براثن البؤس والكآبة وغوائل التعاسة والشقاء.

وما هذا البحثُ المعنون بـ: (**الفرح من منظور قرآني: دراسة موضوعية**) إلا جهدَ المقلّ، ومحاولةً منّي للغوص في أعماق آي الذكر الحكيم؛ لاستجلاء كيف عالج القرآن الكريم مشاعر الفرح لدى الإنسان، وأماراته، وما يُفرَح به وما لا يفرح، وما يورث في الإنسان البهجة الحقيقية، وما يُرديه في مزيد من التيه والحزن والشقاوة.

وقد دفعني للبحث في هذا الموضوع؛ سببان:

أوّلهما: ما ذكرته آنفاً من طغيان المادة في حياة إنسان هذا العصر، وولهه الدائم نحو كلّ ما يُغذّي جسده من المغريات والشهوات، سعياً منه نحو فردوس السعادة المفقودة، الأمر الذي يتطلب من كلّ باحث مسلم أن

4/30/2024

يُجلّي للنّاس منهج القرآن وهدايته وصراطه المستقيم الذي إن سلكوه وهم يتقلّبون في هذه الحياة وصلوا إلى سعادتهم التي ينشدونها، وعاشوا في حياتهم في سكينة وفرح وطمأنينة نفس.

وثانيهما: إبراز أسبقية القرآن على المدارس النفسية الحديثة السلوكية منها والتحليلية...الخ، في معالجة موضوع الفرح وما يتعلق به، في تصور شمولي تشخيصي وعلاجي متكامل. ولا سيّما أنّ بعضاً ممّن سبقوا وكتبوا في موضوع الفرح سواء أكان في القرآن أم في السنة، -ممن اطلعت على كتاباتهم وأبحاثهم-لم يتطرقوا إلى القضايا النفسية والوجدانية المتعلقة بالموضوع على الرغم من كون الفرح موضوعاً انفعالياً نفسياً بالدرجة الأولى قبل أن يكون ظاهرة اجتماعية لها مظاهرها ومحدداتها.

ولا أدّعي السبق في تناول (موضوع الفرح في القرآن)، فقد كتب فيه قبلي باحثون وعلماء فضلاء، ممّن اطلعت على **بحوثهم ومقالاتهم**، وهي:

- ✓ **الفرح في الميزان**، للباحث أحمد بن عبد العزيز المنصور، تقديم: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، دار الوطن للنشر، (١٤٢٢هـ)، وهو كتيّب صغير من (٢٣) صفحة منشور بموقع الكتيبات الإسلامية، هدف فيه مؤلفه كما أوضح في مقدمتها إلى تذكير بعض المسلمين الذين يخالفون شرع الله في مناسبات أفراحهم، بمنهج الإسلام في الفرح. ثمّ تحدث عن تعريف الفرح، ثم تحدث عن مجالات الفرح مقسماً إياها إلى: الفرح المحمود بنعمة التوفيق للطاعات والقربات، وبفطر الصائم، وبتعلم كتاب الله وحفظه وتلاوته؛ وإلى الفرح المذموم بالرياء في العمل، وبالتقصير في الطاعات والتخلف عن الصلاح والاستقامة، وبالمعصية، وبالفرح المصحوب بإسراف وتبذير واختلاط الرجال بالنساء؛ وإلى الفرح للآخرين وعدم حسدهم؛ ثم تحدث عن موقف المسلم من الفرح، خاتماً رسالته بخاتمة. ويبدو من الكتيب أنه لم يكن دراسة موضوعية للفرح في الكتاب أو السنة أو فيهما، وإنما كان مجرد معالجة موضوع ما من وجهة نظر الإسلام مستدلاً بما يتناسب مع ما طُرح من أفكار بما استحضره الباحث من آيات أو أحاديث نبوية شريفة؛ فلا يصدق عليه منهج الدراسة الموضوعية بخطواته الأكاديمية المعروفة.
- ✓ **الفرح في ضوء القرآن الكريم**، للدكتور زيد عمر العيص، مركز تفسير للدراسات القرآنية (١٤٣٣هـ). وهو أفضل بحث اطلعت عليه في الموضوع عولج وفق منهج التفسير الموضوعي. وهو منشور على الإنترنت بموقع ملتقى أهل التفسير (ونشر في مواقع أخرى بعنوان: الفرح دراسة قرآنية تربوية)، وجاء البحث في واحد وستين صفحة. وتألف بحثه من تمهيد، وكلمة في تعريف الفرح ومناقشة بعض التعريفات والتقسيمات، ثم تحدث عن الفرح والسرور والفرق بينهما منتقداً من حصر السرور في الأمور المحمودة، ثم خصص ما بقي من بحثه (حوالي ٤٧ صفحة) في الحديث عن أقسام الفرح في القرآن: فتحدث عن الفرح المحمود: بالإسلام وما يتعلق به، وبنصر الله؛ ثم عن الفرح المذموم وصوره من خلال طوائف الناس فيه من اليهود، والمنافقين، والكافرين، والمترفين؛ ثم عن الفرح المباح، معقباً القسمين الأولين ببعض الاستنتاجات والخلاصات؛ لينهي بحثه بخاتمة هي عبارة عن خلاصة البحث. وعلى الرغم من قوة البحث وقيمته العلمية، إلا أن فضيلة الدكتور اقتصر في معالجته للموضوع على الآيات المتعلقة بكلمة (فرح) معرجاً ببعض الآيات المتعلقة بالسرور، ولم يتطرق البتة إلى المرادفات الأخرى للفرح الواردة في القرآن من (البهجة، والحبور، والاستبشار). كما يتضح من ثنايا البحث

4/30/2024

أنّ فضيلته لم يقف على تفسير كلّ الآيات عن الفرح واستنباط ما يتعلق بالفرح منها. كما اتسم بحثه بالسرد إلى حدّ ما.

- ✓ **الأبعاد النصية في ألفاظ الفرح والحزن في القرآن الكريم**، للباحث الشيعي رياض حمود حاتم. وهو بحث من (٢١) صفحة، منشور في موقع جامعة بابل، كلية الدراسات القرآنية بالعراق. تألف من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة. تحدث في المبحث الأول عن أهمية النص في الرسالة فذكر فيه الفرح في القرآن في حدود صفحتين فقط مقتصراً فيه على بعض الآيات متحدثاً عن فرح الأنبياء والصالحين، وفرح الكافرين، وفرح الإنسان، والمحمود والمذموم. وفي المبحث الثاني الذي عنونه بدور النص في تكوين الرسالة تحدث عن الحزن في القرآن في صفحتين أيضاً. ثم انتقل إلى المبحث الثالث المعنون بطريقة دراسة النصوص وتوظيفها بالرسالة، فعرّف الفرح لغة واصطلاحاً والفرق بينهما، وتوصل إلى أنه يرد في القرآن بثلاث دلالات: البطر، الرضا، والفرح بعينه، كما أشار فيه إشارة سريعة إلى ما ذكره بعض العلماء السابقون من تقسيم ورود الفرح في القرآن إلى مطلق ومقيد، وذلك كلّه في حدود أربع صفحات. ثم انتقل إلى الحديث عن الحزن. مختتما بحثه بخاتمة تحدث فيها عما سمّاه التآلف والتناسق بن ألفاظ الفرح والحزن. وما قلته عن البحث السابق يصدق هنا؛ يضاف إلى ذلك عدم إعطاء الموضوع ما يستحق من عمق واستقراء واستيعاب.
- ✓ **فقه الفرح في الكتاب والسنة**، للأستاذ أمين نعمان الصلاحي، مقال منشور في موقع: شبكة ألوكة الشرعية التي يشرف عليها الدكتور سعد بن عبد الله الحميد، والدكتور خالد عبد الرحمن الجرسي. ويتألف المقال من تعريف الفرح في حوالي خمسة أسطر. ثمّ الحديث عن سبعة أنواع للفرح في القرآن: الفرح بالنعم الدنيوية، وفرح الكافرين والمشركين بعقائدهم وأفكارهم المخالفة لما بعث به الرسل، وفرح المنافقين بالمعصية، وفرح الكافرين والمنافقين بما يصيب المؤمنين، وفرح المؤمنين بنصر الله، وفرحهم بما من الله عليهم من الهداية، وفرحهم بالجنة والنعيم المقيم فيها. ثم تحدّث عن الفرح الإيماني ومكانته بين أعمال القلوب. ثمّ تحدّث عن النهي عن الحزن في الكتاب والسنة. وأنهى مقالته بخلاصة عن بعض النقاط التي توصل إليها. وما قيل عن الدراستين السابقتين يقال هنا أيضاً، كما أنّ الباحث عند حديثه عن أنواع الفرح كان يكتفي بالعنوان ثم ذكر آية أو آيتين تحته وحديث أو حديثين دون أن يكلف نفسه عنت تفسيرها أو التعليق عليها بما يعطي للموضوع حقّه، فلا يصدق عليه منهج الدراسة الموضوعية.
- ✓ **الفرح والحزن في ضوء السنة النبوية: دراسة موضوعية**، للباحث نادر نمر وادي، رسالة ماجستير في الحديث الشريف وعلومه، الجامعة الإسلامية، غزة، (٢٠١٠م). وهي رسالة قيّمة جاءت في (٤٥٠) صفحة درس فيها الباحث موضوع الفرح والحزن في السنة النبوية، وعلى الرغم من بعد الموضوع عن موضوع بحثنا المتعلق بدراسة الفرح في القرآن، إلا أنني أثرت ذكرها هنا، لكون الباحث تعرّض لذكر الفرح في القرآن في فقرة خاصة جاءت في أربع صفحات من رسالته. وقد ظهر لي منها أنّه سار في جلّ ما ورد فيها على خطى بحث (الأبعاد النصية لألفاظ الفرح والحزن في القرآن الكريم) حذو النعل بالنعل. ولعدم تمكّني من معرفة تاريخ نشر ذلك البحث، حِرت في معرفة من استفاد من من!! والله المستعان!!

4/30/2024

تلك هي أبرز الدراسات الجادة عن الموضوع التي اطلعت عليها، وهناك مقالات منثورة هنا وهناك على الشابكة لم أعرج عليها هنا، لأنها لا ترقى إلى مصافّ البحث الأكاديمي الجاد الذي يستحق التنويه به، وإنما هي إشراقات للموضوع.

أما هذا البحث المتواضع الذي أقدّمه، فما هو إلا لبنةً صغيرة جداً تضاف إلى هذا الصرح العلمي الذي شيّده الأكابر -وأين الثرى من الثريا!-، حاولت فيه أن أنسج على منوالهم، وأن أقتفي أثرهم، محاولاً النّظر إلى الموضوع من زوايا وتصنيفات أخرى ممكنة. فإن كان فيه فضل فائدة أو جانب لم يذكره السابقون، وهو المأمول، فليكن على غرار ما قاله إمام القراءات الإمام الشاطبي رحمه الله متحدثاً عن حرزه مقارناً إياه بتيسير الإمام الداني رحمه الله:

وألفافُها زادتْ بنشْرِ فوائدٍ فلفّتْ حياءً وجهَها أن تُفضَّلاَ

ومنهجي فيه: أن أستقريَ الآيات المتعلقة بموضوع الفرح ومرادفاته في القرآن، ثم أفسّرها بالرجوع إلى أمّهات كتب التفسير التحليلي، ثمّ أستنبط منها الدلالات التي تشكل عناصر الموضوع، ثمّ أصنّف تلك الآيات حسب عناصر الموضوع، وأعيد صوغ تفسيرها محاولاً الربط بينها في وحدة متكاملة من خلال تحليل دلالاتها، معزوّاً كلّ قول إلى قائله ومظانّه، فإن كان منقولاً بنصّه وضعته بين قوسين مزدوجين صغيرين، وإن أعيد صوغه واختصاره، لم أضعه فيهما مع الإشارة إلى مصادر ذلك في الهامش. ومستشهداً بما صحّ من الأحاديث النبوية في المواطن التي تلزم.

وقد تألفت **خطة هذا البحث** من تمهيد وخمسة مباحث وخاتمة:

فتضمن **التمهيد** تعريفاً بالفرح لغة واصطلاحاً، وبعض الكلمات المرادفة له الواردة في القرآن، مع الوقوف على بعض الفروقات الدلالية بينها. وخصصتُ **المبحث الأول** في الحديث عن أمارات الفرح في القرآن الكريم والعلامات التي يستدل بها على هذا الانفعال الداخلي.

وخُصِّص الحديث في **المبحث الثاني** لمصادر الفرح كما وردت في القرآن الكريم، والأسباب التي تثير الفرح لدى الإنسان، وجاء في مطلبين، أولهما المصادر الطبيعة، وثانيهما المصادر المعنوية.

وتحدَّثَ **المبحث الثالث** عن أنواع الفرح بالنظر إلى المتأثر بمصادره، وحصرتهما في نوعين: الفرح الذاتي؛ والفرح الغيري.

وفي **المبحث الرابع**، كان الحديث عن حكم الفرح وأصناف الناس فيه؛ وجاء في ثلاثة مطالب؛ الأول: عن الفرح المحمود للمؤمنين؛ والثاني: عن الفرح المذموم للكافرين والمشركين والمنافقين واليهود والمترفين؛ والثالث: عن الفرح المباح للناس جميعاً.

أما **المبحث الخامس** الأخير فتحدث عن زمن وقوع الفرح؛ بناء على أنواع الحياة التي يحياها الإنسان؛ فصنفته إلى ثلاثة أزمنة: الفرح الدنيوي، والفرح البرزخي، والفرح الأخروي.

وقد **ختمت** بحثي بإيراد خلاصة لأبرز النتائج التي توصل إليها.

فإن وُفّقت فيه فذاك فضل ومنة من الرحمن، وإلا فذاك مني ومن الشيطان، والتقصير من طبيعة الإنسان، وهذا ما كان! واللهَ أسأل أن يجنبني الزلل في القول والعمل، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه.

4/30/2024

تمهيد : تعريف الفرح ومرادفاته ومسائل متعلقة به

يتناول هذا التمهيد تعريف الفرح لغة واصطلاحاً، وبعض مرادفاته التي وردت في القرآن الكريم، وبعض الفروق اللغوية بينها ومناقشتها، مع الإشارة إلى عدد مرات ورودها في القرآن على نحو مجمل.

أولاً) الفرح:

لغة: الفرح مصدر على وزن فَعَل مأخوذ من الجذر الثلاثي (ف ر ح). قال ابن فارس: «الفاء والراء والحاء أصلانِ، يدلُّ أحدهما على خلاف الحُزْن، والآخر الإثْقال. فالأوَّل الفَرَح، يقال فَرِحَ يَفرَح فَرَحاً، فهو فَرِح...والمِفراح: نقيض المِحْزان. وأمَّا الأصل الآخر فالإفراح، وهو الإثقال...قالوا: هذا الذي أثْقَلَه الدَّين»[(١)]، «فكأنّ الإفْرَاح يستعمل في جلب الفرح، وفي إزالة الفرح، كما أنّ الإشكاء يستعمل في جلب الشّكوى وفي إزالتها، فالمُدان قد أُزيل فرحُه»[(٢)].

أمّا **اصطلاحاً**: فهو «نقيض الحُزْن وقال ثعلب هو أَن يجد في قلبه خِفَّةً»[(٣)]. وعرّفه الراغب الأصفهاني ونقله عنه الزبيدي، بأنّه: «انشراح الصدر بلذة عاجلة غير آجلة، وذلك في اللذات البدنية الدنيوية»[(٤)].

وهذا التعريف قاصر وغير مسلّم به؛ ذلك أنّه قصر الفرح على اللذة العاجلة البدنية الدنيوية، مع أنّ الفرح قد يكون نتيجة اللذات الجسمانية، كما قد يكون نتيجة اللذات الروحانية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الفرح لا يقتصر على الحياة الدنيا، وإنما قد يكون في الحياتين الأخريين البرزخية، والأخروية، كما هو بين في القرآن الكريم وسيأتي تفصيله في حينه.

وعرّفه ابن القيم بأنه: «لذّة تقع في القلب بإدراك المحبوب ونيل المشتهى، فيتولد من إدراكه حالة تسمى: الفرح والسرور»[(٥)].

قلت: هذا التعريف يعاني من قصور من ناحية أنّه يحصر مصادر الفرح في إدراك المحبوب ونيل المشتهى، وهذا يُخرج من التعريف أحدَ أنواع الفرح الأخرى المتعلّق بالمصائب أو المكاره التي تصيب الغير، كما سنبينه عند حديثنا عن الفرح الغيري في هذا البحث، كما أنّ هذا التعريف أغفلَ الإشارة إلى عنصر مهم من عناصر أي انفعال ألا وهو الحالة الفيزيولوجية والجسمية التي تعبر عن الشعور الداخلي.

هذا ويُنظر إلى الفرح عند علماء النفس بوصفه شعوراً أو انفعالاً نفسيّاً، ويُدرس ضمن دراسات سيكولوجية السعادة، التي تعرّف عندهم من خلال بعض الاستجابات الانفعالية المتمثلة في «شعورٍ بالرضا، والإشباع، وطمأنينة النفس، وتحقيق الذات، وشعورٍ بالبهجة والاستمتاع واللذة»[(٦)]. ويجعلون كلًّا من الفرح

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٩٩/٤-٥٠٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٦٢٩.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ١٢/٧.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٦٢٨، وانظر أيضاً: تاج العروس، الزبيدي، ١٢/٧.

(٥) مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، ١٥٧/٣.

(٦) سيكولوجية السعادة، مايكل أرجايل، ص٩-١٠.

4/30/2024

والسرور والحبور مصطلحات دلالية لمدلول واحد هو: «حالة ملائمة للنفس تنتشر في جوانبها كلّها...أي لذة نفسانية أو حالة شعورية شاملة تعمّ النفس عند حصول نفع أو دفع ضرر»[١].

وبناءً على التعريفات السابقة، ومن خلال استقراء كيفية استعمال مصطلح الفرح في القرآن الكريم كما سنبينه لاحقاً، ومع الاستئناس بالاستعمال الاصطلاحي لعلماء النفس نعرّف الفرح بأنه: «**استجابة انفعالية هي عبارة عن شعور بلذة نفسية، مصحوبة عادة بتعبيرات فيزيولوجية جسمية انبساطية كالضحك ونضارة الوجه، تستثيرها مثيرات مادية أو معنوية إيجابية أو سلبية**».

وهذا التعريف الذي ذهبنا إليه ينطوي على عناصر السلوك الانفعالي: فالفرح هو استجابة انفعالية عبارة عن لذة نفسية أي أنه ردّ فعل نفسي نتيجة مثير ما، وهذا الجزء من التعريف يمثل الخبرة الشعورية الداخلية للانفعال. وقولنا مصحوبة عادة بتعبيرات فيزيولوجية: إشارة إلى عنصرَي أي انفعال وهما: الحالة الفيزيولوجية للجسم، والتعبيرات الوجهية التي يستدلّ بها على الحالة الداخلية. أما الجزء الأخير من التعريف، فهو يشير إلى ما ذهب إليه علماء النفس السلوكيون من ضرورة الربط بين الاستجابات ومثيراتها، وأن لكل استجابة سلوكية مثيراً، ونقصد بالمثيرات هنا مصادر الفرح والأسباب التي تبعث الفرح لدى الفرد.

وقد وردت كلمة (فرح) بمشتقاتها في (٢٢) موضعاً في القرآن الكريم في (١٣) سورة موزّعة بين (٩) سور مكية و(٤) سور مدنية، وذلك في (٢١) آية، (١٣) منها مكية و(٨) مدنية[٢].

ثانياً) السرور:

السرور مصدر مأخوذ من الجذر الثلاثي (س ر ر). قال ابن فارس: «السين والراء يجمع فروعَه إخفاءُ الشيء. وما كان من خالصه ومستقرّه. لا يخرج شيءٌ منه عن هذا. فالسِّرّ: خلاف الإعلان يقال أسْرَرت الشيءَ إسراراً، خلاف أعلنته... وأمّا الذي ذكرناه من مَحض الشيء وخالِصِهِ ومستقرّه، فالسِّر: خالص الشيء. ومنه السُّرور؛ لأنه أمرٌ خالٍ من الحزْنِ»[٣].

«وحقيقة السرور التذاذ وانشراح يحصل في القلب فقط ، من غير حصول أثره في الظاهر . والحبور: ما يرى أثره في الظاهر»[٤]. وسيأتي تعريف الحبور لاحقاً.

يقول الإمام ابن عاشور:«المسرّة لذّة نفسية تنشأ عن الإحساس بالملائم أو عن اعتقاد حصوله ومما يوجبها التعجب من الشيء والإعجاب به»[٥].

(١) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا، ٦٥٤/١.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٥١٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ٦٧/٣-٦٨.

(٤) تاج العروس، الزبيدي، ١٠/١٢.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥٥٣/١.

4/30/2024

وقد أوضح أبو هلال العسكري الفرق بين الفرح والسرور فقال: «الفرق بين السرور والفرح: أن السرور لا يكون إلا بما هو نفع أو لذة على الحقيقة، وقد يكون الفرح بما ليس بنفع ولا لذة كفرح الصبي بالرقص والعدو والسباحة وغير ذلك مما يتعبه ويؤذيه ولا يسمى ذلك سروراً»(١).

وذكر أبو البقاء الكفوي أنّ «السرور هو لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه أو اندفاع ضرر وهو والفرح والحبور أمور متقاربة، لكن السرور والحبور ... مستعملان في المحمود، وأما الفرح فهو ما يورث أشراً أو بطراً، ولذلك كثيراً ما يذمّ، فالأولان ما يكونان عن القوة الفكرية والفرح ما يكون عن القوة الشهوية»(٢).

قلت: هذا التفريق غير مسلّم به، إذ قد يطلق السرور على ما يذمّ كما يطلق على ما يمدح، ومثله الفرح أيضاً كما جاء في القرآن الكريم، فلا فرق بينهما من هذا الجانب(٣).

ويبدو لي أنّ الفرق الذي يكمن بينهما هو في تعبيرات الوجه التي تصاحب كلًّا منهما، ففي حين يكون السرور مكتوماً ولا تظهر آثاره على الوجه، فإنه الفرح قد يكون مخفياً وقد يكون معلناً تظهر آثاره على تعبيرات وجه الإنسان أو لا تظهر، فالفرح من هذه الزاوية أعمّ من السرور، والله أعلم.

وقد ورد جذر (س ر ر) في القرآن الكريم بمعان مختلفة وفي مواطن كثيرة، إلا أنّ ما يقصد منه بالفرح الذي هو موضوع بحثنا، ورد في أربع آيات: موضعٌ في سورة [البقرة: ٦٩] المدنيّة؛ وموضع في سورة [الإنسان:١١] المدنيّة، وموضعان في سورة [الانشقاق: ٩؛ ١٣] المكيّة(٤).

ثالثاً) الحبور:

الحبور مصدر مأخوذ من الجذر الثلاثي (ح ب ر). قال ابن فارس: «الحاء والباء والراء أصلٌ واحد منقاسٌ مطّرد، وهو الأَثَرُ في حُسْنٍ وبَهاء...والحبْر:الجمال والبهاء،...والحَبْرَةُ: الفرح»(٥). «والحبور النعمة الحسنة من قولك حبرت الثوب إذا حسنته... وإنما يسمى السرور حبوراً لأنه يكون مع النعمة الحسنة»(٦).

والفرق بين الحبور السرور هو أنّ «السرور: هو الخالص المنكتم، والحبور هو ما يُرى حَبْرُه أي أثره في ظاهر البشرة»(٧). وعليه فإنّ الحبور هو الظاهر آثاره على تعبيرات الوجه، فيكون أخصّ بالتالي من الفرح الذي يشمل الظاهر والمنكتم كما سبق وأشرنا إليه آنفاً.

---

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص٢٦٥.

(٢) كتاب الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفومي، ص٨٠٤.

(٣) فالسرور استخدم في معرض المدح في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩]؛ وفي قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ [الإنسان: ١١]. واستخدم في معرض الذّم في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣﴾ [الانشقاق: ١٠ - ١٣]. وجاء في معرض الإباحة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ۝٦٩﴾ [البقرة: ٦٩].

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، باب السين، ص٣٤٨-٣٤٩.

(٥) معجم مقاييس اللغة، ١٢٧/٢.

(٦) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص٢٦٦.

(٧) كتاب الكليات، أبو البقاء الكفومي، ص٨٠٤.

وقد ورد جذر (حبر) في القرآن الكريم في ستة مواضع، أربعة مواضع منها وردت اسماً جمعاً لعلماء اليهود (الأحبار)، ولا تتعلق بموضوع بحثنا. وموضعان وردا فعلاً مضارعاً، وهما على صلة وثيقة به؛ لأنهما بمعنى الفرح والسرور: موضعٌ في سورة [الروم: ١٥] المكيّة، وموضع في سورة [الزخرف: ٧٠] المكيّة[١].

رابعاً) البهجة:

والبهجة مصدر على وزن فَعْلة مصوغٌ من الجذر الثلاثي (ب هـ ج)، «والباء والهاء والجيم أصلٌ واحد، وهو السرور والنَّضْرة، يقال نباتٌ بهيجٌ، أي ناضِرٌ حَسَن. قال الله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [ق:٧]، والابتهاج السُّرورُ من ذلك أيضاً»[٢]. «والبَهْجَة: حسن اللون وظهور السرور»[٣].

قال الزبيدي:«البهجة: الحُسن...ويقال: هو حُسن لون الشيء ونضارتُه، وقيل: هو في النبات النضارة، وفي الإنسان: ضحك أسارير الوجه، أو ظهور الفرح البتة»[٤].

وذكر أبو هلال العسكري الفرق بين الحُسن والبهجة فقال: «البهجة حُسنٌ يَفرح به القلبُ، وأصل البهجة السرور، ورجُلٌ بهِجٌ وبهيجٌ مسرورٌ، وابتهج إذا سُرّ، ثم سُمّي الحُسنُ الذي يُبهج القلبَ بهجة، وقد يسمى الشيء باسم سببه...ويقال رجلٌ بهِجٌ أي مبتهجٌ بأمر يَسرّه»[٥].

والذي يظهر لي من خلال التعريفات اللغوية السابقة لا سيّما تفريق أبي هلال العسكري، أنّ مصطلح البهجة هو سرور يرتبط دائماً بالمنظر الحسن، أي بالمثيرات الجمالية خاصّةً. وهو ما تجده فعلاً في استخدام القرآن الكريم لهذا المصطلح إذ ربطه دائماً بالنبات، كما سيأتي الحديث عنه في حينه إن شاء الله.

وورد جذر (بهج) في القرآن الكريم في ثلاث آيات، موضعٌ ورد مصدراً على وزن فعْلة في سورة [النمل:٦٠] المكّيّة، وموضعان وردا فيهما وصفاً على وزن فَعيل، موضعٌ في سورة [الحج: ٥] المدنيّة، وآخر في سورة [ق: ٧] المكيّة[٦].

خامساً) الاستبشار:

الاستبشار مصدر الفعل استبشر على وزن استفعل، ويعود إلى جذر (ب ش ر)، «والباء والشين والراء أصلٌ واحد: ظهور الشّيء مع حُسْنٍ وجمال»[٧]. «واستبشر وتبشر وبَشِر : فرح،... وبَشِر بكذا كفرح وزناً ومعنى ، وهو

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، باب الحاء، ص١٩٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣٠١/١.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص١٤٨.

(٤) تاج العروس، ١٨٨/٦.

(٥) الفروق اللغوية، ص٢٦١-٢٦٢.

(٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، باب الباء، ص١٣٩.

(٧) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٥١/١.

4/30/2024

الاستبشار أيضاً... والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير»[١]. «والبشر أول ما يظهر من السرور بِلَقْي من يلقاك، ومنه البشارة وهي أول ما يصل إليك من الخبر السار»[٢].

قال الإمام فخر الدين الرازي: «التبشير في عرف اللغة مختص بالخبر الذي يفيد السرور، إلا أنه بحسب أصل اللغة عبارة عن الخبر الذي يؤثر في البشرة تغيراً، وهذا يكون للحزن أيضاً، فوجب أن يكون لفظ التبشير حقيقة في القسمين»[٣].

«والفرق بين الاستبشار والسرور: أن الاستبشار هو السرور بالبشارة والاستفعال للطلب والمستبشر بمنزلة من طلب السرور في البشارة فوجده، وأصل البشرة من ذلك لظهور السرور في بشرة الوجه»[٤].

وعليه فإن الاستبشار هو الفرح أو السرور الذي يظهر أثره في بشرة الوجه، وهو من هذا الوجه يشبه الحبور، إلاّ أن الاستبشار، غالباً ما يرتبط بالخبر عن النعمة. والله أعلم.

وقد ورد جذر (بشر) في القرآن الكريم في آيات كثيرة جدّاً، إلاّ أننا اقتصرنا في هذا البحث على الكلمات التي تحمل سينَ وتاءَ الاستفعال للطلب، فهي التي استخدمت اتفاقاً بمعنى السرور، كما أنّ التعريفات اللغوية السابقة تُجمع على أنّ استبشر على وزن استفعل تعني السرور، وهو ما لاحظناه من استخدام القرآن الكريم، كما سيتبين في هذا البحث إن شاء الله.

وبلغت الآيات التي وردت فيها كلمة (الاستبشار) مع تاء وسين الاستفعال بمشتقاتها، ثماني آيات، موضعان في سورة [آل عمران: ١٧١-١٧٢]؛ وموضعان في سورة [التوبة: ١١١؛ ١٢٤] وهما سورتان مدنيتان؛ وموضع في سورة [الحجر: ٦٧]؛ وموضع في سورة [الروم: ٤٨]؛ وموضع في سورة [الزمر:٤٥]؛ وموضع أخير في سورة [عبس: ٣٩] والسور الأربع كلّها مكّيّة[٥].

وللفرح مرادفات أخرى في اللغة، أضربنا صفحاً عنها في هذا البحث، لأنها لم يرد لها ذكر في الكتاب العزيز. واقتصرنا فقط على ما ورد فيه. والله أعلم.

(١) تاج العروس، الزبيدي، ١٠/١٨٤-١٨٥.

(٢) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص٢٦٤.

(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٢٠/٢٢٥.

(٤) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص٢٦٥.

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، باب الباء، ص١٢٠.

4/30/2024

المبحث الأول: أمارات الفرح في القرآن

بما أنّ الفرح انفعال وجداني يتجلى في شعور الفرد الداخلي بلذة نفسانية،-فإنّ شأنه شأن الانفعالات الأخرى- يتألف كما يرى علماء النفس من ثلاثة عناصر للسلوك الانفعالي: الخبرة الشعورية الداخلية، والحالة الفيزيولوجية، والتعبيرات الوجهيّة والجسميّة؛ حيث يمكن النظر إلى التعبيرات على أنها مظهر خارجي لمساعدة الآخرين على قراءة الانفعال[١].

وباستقراء الآيات التي تناولت موضوع الفرح في القرآن الكريم نجد أنّ بعضها ربطتْ بين شعور الفرح وبين بعض المظاهر الخارجية للجسم التي تعدّ علامات دالّة عليه، وهي تنحصر –بحسب ما توصلنا إليه من تدبّر الآيات- في أمارتين أساسيتين معتبرتين عند علماء النفس أيضاً، هما:

أولاً) الضحك أو التبسّم:

يعدّ الضحك ظاهرة بشرية هي عبارة عن تعبير مسموع يرتبط بانفعال معين (خصوصاً الفرح والسخرية، والعجب، والارتباك...الخ). فالضحك ينبع في إحدى حالاته من الفرح والبهجة، وهو التعبير الصريح عن حالة سارة موجودة لدى الإنسان[٢]، لذلك عرّفه بعضهم بأنّه «انبساط في بعض عضلات الوجه، مصحوب بزفير متقطع، وصوت مسموع، بسبب تعجّب أو سرور شديد يحصل للضّاحك»[٣]. وهو «انبساط الوجه وبدو الأسنان من السرور، والتبسم مُبادئ الضحك»[٤].

ولقد استخدم القرآن مصطلح الضحك الذي ورد فيه عشر مرات للدلالة على بعض الانفعالات التي ترتبط به كالفرح والسخرية والتعجب، غيرَ أنّ ما يهمّنا هنا هي تلك الآيات التي ربط البيان الإلهي فيها بين مشاعر الفرح وسلوك الضحك، وجَعل هذا الأخيرَ علامةً تعبّر عن حالة البهجة والسرور لدى الإنسان. فعندما صوّر البيان الإلهي بعض مشاهد يوم القيامة التي تأخذ بنياط القلوب، من فرار المرء من أعز أقربائه وأهله، ذكر أنّ النّاس في ذلك اليوم الرهيب سينقسمون إلى فريقين، فريق سينجو من هول الموقف، وصفه القرآن بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس: ٣٨ – ٣٩]، تهلّل وجوههم وتضيء وتشرق وتضحك مسرورة فرحة، قد ظهر البشر على وجوههم بعد الفراغ من الحساب مبتهجين بما نالوا من نعيم الله وكرامته ورضاه في جنانه. وفريق ثان يعلو وجوههم غبار وكدورة وسواد وكسوف وذلة وشدة بعد أن رأوا ما أعد الله لهم من سوء العذاب[٥].

---

(١) سيكولوجية السعادة، مايكل أرجايل، ص١٧١.

(٢) الفكاهة والضحك: رؤية جديدة، شاكر عبد الحميد، ص١٩، ٢٥.

(٣) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا، ٧٥٤/١.

(٤) تاج العروس، الزبيدي، ٢٤٩/٢٧.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي، ٦٢/٣١؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٢٧/٨؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٢٨٨/٥؛ التفسير المنير، وهبة مصطفى الزحيلي، ٧٦/٣٠-٧٧.

4/30/2024

قال صاحب التحرير والتنوير «وإسناد الضحك والاستبشار إلى الوجوه مجاز عقلي لأن الوجوه محلّ ظهور الضحك والاستبشار»[١].

لذلك حذّر المولى سبحانه وتعالى المنافقين من أن يكثروا من الضّحك الذي يعبّر عن فرحهم وسرورهم واغتباطهم بالتخلف عن الجهاد والغزو، واستئناسهم بالقعود مع الأهل والأولاد، من دون أن يعرضوا أنفسهم لخطر القتل، وأموالهم للإهدار، وأجسادهم لقرّ الصّيف ولظى الصحراء، فقال تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة: ٨٢]، تعقيباً لقوله تعالى واصفاً شعورَهم المصحوبَ بالبهجة والسرور على سلوكهم المشين والقبيح: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [التوبة: ٨١]، فلو عقل هؤلاء المنافقون وأمثالهم لعلموا أنّهم لو ظلّوا يضحكون مبتهجين في كلّ عمرهم، فإنّه قليلٌ؛ لأن الدنيا ذاتها بأسرها قليلة، وسيعقب ضحكهم ذاك بكاءٌ مريرٌ كثير في الآخرة في عقاب دائم مستمرّ خالد لا ينقطع[٢]. يقول شهيد الأمّة سيد قطب عليه رحمات الله: «وإنه لضحكٌ في هذه الأرض وأيّامها المعدودة، وإنّه لبكاءٌ في أيام الآخرة الطويلة، وإنّ يوماً عند ربك كألف سنة ممّا يعدون»[٣]. وقد ذكر البيضاوي في تفسيره للآية أنه يجوز أن يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغمّ[٤].

فحريّ بالإنسان العاقل إذن أن يكون ضحكُه المعبرّ عن سروره وفرحه بنعم الله التي يغدقها عليه في هذه الدنيا كضحك فرح نبي الله سليمان عليه السلام المصحوب بشكر المنعِم، والذي وصف البيان الإلهي حاله قائلاً: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل: ١٩]. أي تبسم سليمان عليه السلام شارعاً في الضّحك تعجّباً من حذر النّملة وتحذيرها لأخواتها واهتدائها إلى ما يُصلح شؤونها، وفرحاً وسروراً بما آتاه الله تعالى وخصّه به من فضله على غيره من الناس من إدراك همسها، وفهم غرضها وقصدها ومنطقها. وقد ألجأه هذا الفرح بنعمة الله عليه إلى أن يسأله توفيق شكره على ما أسبغه عليه من تعليمه منطق الطير والحيوان، وعلى والديه من نعمة الإسلام له والإيمان به[٥]. وهذه هي الحالة التي يجب أن يكون عليه كلّ مؤمن، أن يضحك فرحاً بنعم الله عليه من دون أن ينسى شكر شكر المنعِم، وأن يربط النّعم بواهبها.

فالله سبحانه وتعالى هو الواهب المنّ الذي يستحق الشكر، وهو القادر على أن يخلق في الإنسان الأسباب التي تورث فيه السعادة والسرور؛ فتنفرج أساريره ضحكاً وحبوراً، أو التي تغرقه في يمّ من الأسى والحزن والشقاء؛ فينفجر بكاءً وعويلاً.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٣٨/٣٠.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ١١٣/١٦-١١٤؛ تفسير ابن كثير، ١٦٦/٤؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٣٩٠/٢.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٦٨٣/٣.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٩١/٣.

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٣٤١/٣؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ١٥٧/٤؛ التفسير المنير، ٢٧٦/١٩.

4/30/2024

أليس هو القائل جلّ جلاله في معرض إبرازه مظاهرَ قدرته على إيجاد الضدين في محلّ واحد: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النجم: ٤٣]، فهو سبحانه يُضحك من يشاء في هذه الدنيا بأن يُفرحه ويَسُرَّه، ويُبكي من يشاء فيها بأن يورث في نفسه الغمّ والهمّ، وهو الذي خلق في عباده الضحك والبكاء والفرح والحزن[١]. فقد قيل في تفسير معنى أضحك وأبكى: «أفرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء»[٢].

وهكذا يتضح أنّ البيان الإلهي قَرَن في بعض آياته بين شعور الفرح والاستبشار وبين الضحك، أمارةً تُعبِّر عنه ويستدلّ به عليه، وردَّ فعلٍ فيزيولوجي على بعض الخبرات السّارة التي قد يمرّ بها الإنسان. وهو في أثناء ذلك لم يترك له العنان لأن يضحك الضحكَ العبثيَّ الذي يُفصِح عن الفرح المذموم الذي سيأتي الحديث عنه، وإنّما أرشده إلى ضرورة أن يكون ضحكه معبّراً عن مكنون الفرح المشروع.

ثانياً) نضارة الوجه:

يرى علماء النفس أنّ للتعبير الانفعالي بُعديْن أساسيّيْن يتمثّلان غالباً في: السّار، وغير السّار (أو السعيد الفرح، والحزين)، ونجد هذين البعديْن الأساسيّيْن في التعبير الانفعالي للوجه[٣]، فقد تكونُ تعبيراتُ الوجه بَريدَ ما نحسّ به من عواطف وانفعالات، وما يجول في أعماقنا من مشاعر فرحٍ أو حزنٍ، وما نمرّ به من خبرات سارّة أو مزعجة، فإمّا أن تكون ناضرةً متهلّلةً مسفرةً، وإمّا أن تكون كالحةً شاحبةً باسرةً تعلوها الكآبة والقتامة والعبوس والانقباض والقترة.

وإنّك لتجد هذه الحقيقة ناصعة بيّنة في البيان الإلهي، وهو يصف فرح المؤمنين، بعد نجاتهم من هول ذلك اليوم الذي يشيب له الولدان، وتقتضي جلالةُ خطْبه وفداحةُ أمره أن يفرّ الإنسان من أقرب النّاس إليه، وأن ينشغل بخاصة نفسه. فقد وصف مشاعر الاستبشار والفرح التي تغمرهم بأنها تنعكس إسفراراً في الوجوه و نوراً وضياءً، فوجوههم يومها متهللة فرَحاً وعليها أثر النعيم[٤] ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ ﴾[عبس: ٣٨ – ٣٩].

وحُقّ لهم أن يفرحوا ويسرّوا سروراً عظيماً بعد أن وقاهم الله شرَّ ذلك اليوم العبوس الذي تعبس فيه الوجوه من شدته وهوله، وحماهم من بؤس ذلك اليوم القمطرير الشديد الكريه الذي تقبض فيه الوجوه بالتعبيس، وآمنهم ممّا كانوا يخافون منه، وأنار وجوههم ولقّاهم سروراً في قلوبهم[٥] ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ ﴾ [الإنسان: ١١]. «وذلك أنّ القلب إذا سرّ استنار الوجه»[٦] وفي الحديث الطويل عن كعب بن

(١) التفسير المنير، ١٣١/٢٧.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٣٩٠/٢، مفاتيح الغيب، ٢٧٩/٢٩.

(٣) سيكولوجية السعادة، ص١٦١.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٢٨٨/٥.

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٣٧٩/٤؛ مفاتيح الغيب، الرازي، ٧٤٩/٣٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٩٦/٨-٢٩٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٩٦/٨.

4/30/2024

مالك: «وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه»[١]. وقالت عائشة ﵂: « إنّ رسول الله ﷺ دخل علي مسروراً تبرق أسارير وجهه»[٢].

ولمَ لا تكون وجوههم نضِرةً بهيةً مضيئةً متهللةً مشرقةً ناعمةً حسنة المنظر من أثر النعمة والفرح، وهم من أهل السعادة يومئذٍ وقد شرُفت وجوهُهم وحظيت بأفضل نعمة يتمناها المؤمن، وهو النظر إلى جانب الله تعالى نظراً خاصاً لا يشاركهم فيه من يكون دون رُتَبهم[٣] ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢–٢٣]. قال ابن عاشور: «وكنّي بنضرة الوجوه عن فرح أصحابها ونعيمهم، قال تعالى في أهل السعادة ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المطففين: ٢٤]، لأن ما يحصل في النفس من الانفعالات يظهر أثره»[٤]. روى مسلم عن صهيب بن سنان عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»[٥].

وخلاصة القول: إن البيان الإلهي جعل تعبيرات الوجه إحدى العلامات التي تكشف عن مكنونات النفوس وخبايا القلوب من مشاعر سارّة فرحة، أو حزينة كئيبة، حيث تصاحب الأولى النضارةُ والبهاء والإشراق والضياء والنور، وتقترن الثانيةُ بالعبوس والبسر والانقباض.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (٣٥٥٦)، ١٨٩/٤؛ ومسلم، (٢٧٦٩)، ٢١٢٠/٤؛ والترمذي، (٣١٠٢)، ٢٨٥/٥؛ وأحمد في المسند، (١٥٧٨٩)، ٧٤/٢٥، و(٢٧١٧٨)، ١٥٧/٤٥ برواية «إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ شِقَّةُ قَمَر».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٧٧٠)، ١٥٧/٨، ومسلم، (١٤٥٩)، ١٠٨١/٢؛ وأحمد في المسند، (٢٤٥٢٦)، ٧٣/٤١.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ٧٣٠/٣٠؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٢٦٧/٥؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٥٣/٢٩.

(٤) التحرير والتنوير، ٣٥٣/٢٩.

(٥) صحيح مسلم، (١٨١)، ١٦٣/١.

4/30/2024

المبحث الثاني: مصادر الفرح وأسبابه

إذا ما نظرنا إلى الفرح بوصفه استجابة انفعالية فطرية، جرياً مع اصطلاح علماء نفس السلوك، فلا بد له من مثيرات تثيره وتكون وراء ظهوره لدى الإنسان، إذ لا بد لكل استجابة من مثير كما يقول السلوكيون.

وقد اصطلح على تسمية هذه المثيرات بمصادر الفرح والسعادة والسرور[١]. ونقصد بالمصادر هنا، تلك المثيرات الخارجية والأمور والأسباب التي تؤدي إلى أن تفيض مشاعر الفرح والبهجة والسرور لدى الفرد. وباستقراء آيات القرآن الكريم التي تناولت موضوع الفرح نجد أنها قيدته -سواء أكان محموداً أم مذموماً- بأسباب عديدة، ترجع بمجملها -بنظري- إلى نوعين من المصادر: المصادر المادية، والمصادر المعنوية.

وقد أشار الإمام الرازي إلى هذا التقسيم إيماءً حين ذكر في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨] أنّ «المقصود منه الإشارة إلى ما قرره حكماء الإسلام من أن **السّعادات الروحانية** أفضل من **السّعادات الجسمانية**...وأنه يجب أن لا يفرح الإنسان بشيء من الأحوال الجسمانية»[٢]، ثم ساق أدلة كثيرة لدعم رأيه لا مجال للخوض فيها الآن.

ويمكنُ الاستئناس أيضاً في هذا التقسيم لمصادر الفرح، بأحد تقسيمات الإمام ابن القيم للفرح في كتابه الروح، إذ فرّق بين ما سمّاه فرح القلب وفرح النفس، وجعل الْفَرح بِاللَّه ومعرفته ومحبته وكلامَه ...الخ من القلب، ثم أطنب القول في بيان هذا النوع من الفرح، وأنساه ذلك بيان ما يقصده من فرح النفس، وإن كان يُعلم من تلافيف كلامه -رحمه الله- أنه الفرح المتعلق باللذات الجسمانية[٣].

وقد آثرنا ألا نقتفي أثره في هذا التقسيم على الرّغم من عمقه، لأنّه سيدخلنا في جدلِ الفرقِ بين النفس والقلب وما درا فيه من مناقشات نحن في غنى عنها، يضاف إلى ذلك أنّ هذا التقسيم لا يعطينا المعيار الدقيق الذي من خلاله يمكن أن نميّز بين ما هو للقلب وما هو للنفس؛ إذ الأمر فيه مبنيّ على الاجتهاد والتخمين. لذلك آثرنا هنا أن نقسم مصادر الفرح إلى المصادر المادية والمصادر المعنوية، بناءً على معيار ما للحواس فيه نصيبٌ، وما لا علاقة لها به، بغض النظر عن كونه فرحاً مرغوباً فيه أم مرغوباً عنه:

المطلب الأوّل: المصادر المادية:

(١) سيكولوجية السعادة، ص١٦٥-١٦٨. وقد توصلت بعض الدراسات النفسية كدراسة هندرسون وزملائه إلى قائمة بالمصادر الرئيسة للخبرات السارة أوصلها إلى أحد عشر مصدراً: Henderson, M. et al. The assessment of positive life events, p:24؛ في حين بلغت عند مايكل أرجايل في دراسته (سيكولوجية السعادة) ثمانية مصادر هي: الأكل والشرب والعلاقة الزوجية، الراحة والنوم، العلاقات الاجتماعية مع الزوج والأصدقاء وغيرهم، النجاح والترقي والرضا عن الذات، النشاط الجسمي والألعاب الرياضية والشعور بالصحة، أداء مهمة واستخدام المهارات، القراءة والموسيقى والتلفزيون والنشاطات الثقافية الأخرى، الخبرات القوية مثل: الخبرة الجمالية والطبيعة والخبرة الدينية. ص١٦٦.

(٢) مفاتيح الغيب، ٢٦٩/١٧-٢٧٠.

(٣) الروح، ابن القيم الجوزية، ص٢٤٨ وما بعدها.

4/30/2024

ونقصد بها تلك المثيرات الخارجية التي تسبب انفعال الفرح والسرور والبهجة لدى الإنسان وتكون حواسُّه الواسطةَ بين تلك المثيرات وبين شعوره الداخلي واستجابته الانفعالية المسبَّبة. وباستقراء آي القرآن الكريم نجد أنّها تتمثل -برأيي- فيما يلي:

١) الفرح بالطبيعة وعناصر البيئة:

فالناس بطبعهم وفطرتهم يميلون إلى أن يشعروا بمشاعر إيجابية قوية وخبرات سارة في البرية والأرياف والحدائق والأماكن الطبيعية، وهم يستمتعون بالحياة النباتية والماء؛ وتستريح نفوسهم إلى ما هو طبيعي من عناصر البيئة المحيطة أكثر ممّا هو صناعي؛ ويفضّلون بعض العمق في المنظر الذي تنعم به هذه المظاهر الطبيعية من الجمال الأخّاذ والمناظر الآسرة للقلوب[١].

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد أنّها تُسهب في الحديث عن الكون وعن مظاهر الطبيعة في آيات كثيرة وبأساليب متعددة وفي سياقات متنوعة، وإنك لتجد في بعض آياته أنّه ختم بعض تلك الآيات بالحديث عن مظاهر الاستبشار والبهجة والسرور التي ترتبط بعناصر الطبيعة.

تجد ذلك بيّناً عندما أوضح بعض مظاهر آياته وقدراته في هذا الكون الفسيح، فذكر دورة نزول المطر فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الروم: ٤٨]. فقد ختم هذه الآية بفاصلة تلفت الأنظار إلى مشاعر الاستبشار التي تصحب نزول المطر بعد القحط. فهؤلاء القوم الذين أصابهم الغيث والذين كانوا قانطين من نزوله قبل ذلك يستبشرون به ويفرحون فرحاً لا يوصف مثله، ويقع منهم موقعاً عظيماً؛ لأنه جاءهم على فاقة واحتياج، فهم يبتهجون ويسرّون لمجيء الخصب[٢].

واستمع إليه أيضاً وهو يتحدث عن ملكوته، ثم يلتفت إلى إبراز بعض المناظر الآسرة التي تبثها الحدائق الغنّاءة بأشجارها الخضراء الوارفة في نفوس الناظر إليها فتنعكس فيهم بهجة وسروراً ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النمل: ٦٠]. «والحديقة: البستان عليه سور من الإحداق وهو الإحاطة، وقيل ذات لأن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة...، والبهجة الحسن، لأن الناظر يبتهج به»[٣].

فالإنسان يبتهج ويُسرُّ بالأصناف المختلفة التي تنبتها الأرض لما فيها من الحسن والنضارة، وتكتحل عيناه بمناظر البهاء والجمال التي تشعّ منها، لذلك قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾ [ق: ٧]، وقال أيضاً: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ

(١) انظر الدراسات النفسية التي أجريت حول هذا الموضوع في كتاب، سيكولوجية السعادة، ص١٦١ فما بعدها.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٩٠/٦؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٢٠٩/٤؛ التفسير المنير، الزحيلي، ١٠٦/٢١.

(٣)الكشاف، الزمخشري، ٣٧٦/٣، مفاتيح الغيب، الرازي، ٥٦٣/٢٤؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٢٤٩/٣

4/30/2024

بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [الحج: ٥]، «والبهيج هو الحسن السار للناظر إليه»[١]، وكلّ زوجٍ بهيج أي «كل صنف حسن كريم يبتهج به أي: يسر به»[٢].

ولذلك فإنّ القرآن عند وصفِه لنعم الجنة التي أعدت للمؤمنين كثيراً ما يفصل القول في الحديث عن رياضها وحدائقها وأزهارها ورياحينها وظلالها. قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الروم: ١٥]. وما أجمل تعبير الإمام الطبري وهو يفسر هذه الآية ، قال ﷺ: «فهم في الرياحين والنباتات الملتفة، وبين أنواع الزهر في الجنان يُسرون، ويلذّذون بالسماع وطيب العيش الهنيّ، وإنما خصّ جلّ ثناؤه ذكر الروضة في هذا الموضع، لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظراً، ولا أطيب نشراً من الرياض، فأعلمهم بذلك تعالى أنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق، واللذيذ من الأراييح، والعيش الهنيّ فيما يحبون، ويسرُون به، ويغبطون عليه»[٣].

ومن الأمور التي تمتّع العين بالنظر إليه فتنعكس في القلب سروراً وحبوراً الألوانُ الجميلةُ الزاهية، وحسنُ الخلقة، والمنظرُ البهيّ، والخِلقةُ المستوية. فعندما استمرّ اليهود في مماحكاتهم طالبين بيان لون البقرة المطلوب ذبحُها، أرشدهم الله سبحانه وتعالى إلى بعض أوصافها قائلاً: ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ٦٩]. فهي بقرة حسَنٌ منظرُها وهيئتُها، ليست هزيلةً ولا شوهاءَ، فيها فراهةٌ وحيويةٌ ونشاطٌ والتماعٌ، ذاتُ لون هي من أحسن ألوان البقر، تعجب الناظرين إليها، وتدخل رؤيتُها عليهم مسرّةً في نفوسهم[٤].

وهذا الفرح بالجمال الطبيعي والمنظر الحسن الذي يتمتع به النظر قد يكون في جمالِ الوجه وحُسْنِ طلّة الآخرين فيورث في النفس فرحاً وبهجة واستبشاراً، إلا أنّه ينبغي أن يكون مضبوطاً بضوابط الشرع، وألا يؤدي بصاحبه إلى المعصية والشذوذ -والعياذ بالله-، وإلاّ كان فرحاً مذموماً شاذاً منبوذاً.

وذلك كفرح قوم لوط بالملائكة الذين جاؤوا لوطاً والذين كانوا غايةً في البهاء والجمال، وأصْبَحَ وجوهاً، وأحسنَ شكلاً، فهرولوا إلى دار لوط بعد أن اشتهر خبرُ وصولهم وأخبرتْهم امرأةُ لوط بمجيئهم، مستبشرين مسرورين فرحين فرحاً شديداً، آملين في ارتكاب جرمهم الفظيع، وقبح فعلهم المستهجن الذي تنبو عنه الأذواق الفطرية، وتنفر منه الطباع السليمة، وتنافيه الأعراف القويمة من إكرام الضيف والإحسان إليه[٥]. قال تعالى في وصف فرحهم الشنيع هذا: ﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الحجر: ٦٧].

---

(١) الكشاف، الزمخشري، ١٤٥/٣.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٢٤٩/٣.

(٣) جامع البيان، الطبري، ٨١/٢٠.

(٤) جامع البيان، الطبري، ٢٠٢/٢؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٨٧/١؛ في ظلال القرآن، سيد قطب، ٧٩/١؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥٥٣/١-٥٥٤.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٥٥/١٩؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٦٥/٤؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦٦/١٤؛ التفسير المنير، الزحيلي، ٥٣/١٤.

ولم يقتصر القرآن الكريم على العناصر الطبيعية التي تمتع النظر فقط بل لفت أنظارنا أيضاً إلى فرح الإنسان التام ومسرّته القوية بالريح الطيبة التي تحقق له مقصوده إذا ركب البحر من توجيه شراع سفينته نحو الوجهة التي يقصدها، والذي لا يلبث أن تفاجئه العواصف المدمّرة المهلكة والرياح الصّرصر العاتية(1) يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يونس: ٢٢].

وهكذا يتضح لنا أن البيان الإلهي جعل الجمالَ الطبيعيَّ المبثوثَ في جنبات الكون وفي مكونات البيئة المحيطة بالإنسان أحدَ المصادر الهامة والأسباب التي تبعث في نفس الإنسان مشاعر الفرح والسرور والحبور والبهجة.

٢) الفرح بالنعم المادية:

فالإنسان يميل بطبعه إلى أن يفرح بما يحصل له من نعم مادية، من مال وبنين وسعة في الرزق، ويسار في العيش، وصحة في البدن وقوّة...الخ، وقد يكون فرحه في ذلك مصحوباً بشكر المنعم فيكون محموداً، وقد يكون فرح بطر يطغيه فيكون مذموماً على ما سيأتي بيانه عند الحديث عن حكم الفرح. وما يهمنا في هذه النقطة هو استعراض الأسباب المادية الداعية للفرح بغض النظر عن الآثار الناجمة عنه، وكيفية تعامل الإنسان مع مشاعر فرحه وسروره.

وإنّ أوضح مثال لفرح الإنسان بما ينعم الله عليه من الأمور المادية من الأموال والغنى، هو فرح قارون بما أوتي من الكنوز والذي كان مضرب المثل في الغنى والثروة والظلم والعتو، إذ تجبر وتكبر وتعالى على قومه بكثرة ماله، واستخف بالفقراء من بني جنسه فلم يرع حقهم. فقد توجه إليه الناصحون من بني قومه محذرين له من هذا الفرح المطغي المصحوب بالتعالي والتفاخر قائلين له: إياك أن تبطر في فرحك وتأشر وتمرح بما أنت فيه من المال فهو ظل زائل، ولا يلهك ما أنت فيه من الغنى والتمسك بالدنيا الفانية عن أمر الآخرة، فالله سبحانه وتعالى لا يحب الفرحين البطرين الأشرين الذين لا يشكرون الله على ما آتاهم من نعمه، فهؤلاء سينزل عليهم غضبه، وسيحيق عليهم عذابه الماحق وعقابه الساحق(2). قال تعالى في وصفه لقصة قارون وتحذير قومه له من فرحه البطر الذي كان نتيجة كنوزه وغناه وماله: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [القصص: ٧٦].

وقد قيل: «إنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن إليها، فأما من يعلم أنه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح بها»(3). لذلك فأنت تجد القرآن في كثير من آياته يحذّر من هذا الفرح البطر الذي تسبّبه اللذات المادية ومتاع الدنيا.

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٣٢/١٧.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٥/٢٥؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٣٧١/٣؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٧٨/٢٠؛ التفسير المنير، الزحيلي، ١٦٠/٢٠.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٥/٢٥؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٣٧١/٣.

4/30/2024

استمع إليه وهو يذْكر حال المشركين في حال الغنى الذين استحقوا اللعنة وسوء الدار المغضوب عليهم، فقد وصفهم بأنهم فرحوا بالدنيا ومتاعها فرح بطر وطغيان ولم يعرفوا غيرها، ولم يهتموا بالآخرة وجهلوا ما عند الله، ولم يدركوا أنّ نعيم الدنيا ومتاعها وملذاتها ما هي بالنسبة للآخرة إلا ظل زائل ومتاع تافه[1] ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦ ﴾ [الرعد: ٢٦]

فمن طبع الكافر أنه إن أعطاه الله نعمة من بعد مصيبة أصابته أو بؤس حلّ به أو شدة حلّت في فناه، كعافية بعد مرض، أو غنى بعد فقر، أو قوة بعض ضعف، أو يسر بعد عسر، يصبح شديدَ الفرح والبطر بتلك النعمة متفاخراً متعاظماً على غيره محتقراً سواه، ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠ ﴾ [هود: ١٠] ، ولقد ذهب بعض المفسرين إلى القول بأن هذه الآية عامّة لكلّ إنسان مؤمناً كان أو كافراً بدليل أنّ الله استثنى منها الذين صبروا. ولكنّ الراجح من أقوال المفسرين أن الاستثناء منقطع وأن الآية تتحدث عن الكافر بدليل الصفات المذكورة للإنسان في هذه الآية وقبلها، فهي لا تليق إلا بالكافر (اليؤوس، الكفور، ذهب السيئات عني، الفرح، الفخور)[2]. وما يدعم هذا القول أن البيان الإلهي جعل هذا الفرح البطر بالغنى والصحة سبباً لإعراض المشركين عن الاستجابة لأمر الله، قال تعالى: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ٤٨ ﴾ [الشورى: ٤٨]، أي فإن أعرض هؤلاء الذين أمرتَهم بالاستجابة لأمر الله والدخول في الإسلام ولم يقبلوا به، فلا تَذهبْ نفسُك عليهم حسراتٍ، فلم نبعثك لتحفظ أعمالهم وتحصيها، فمهمتك الوحيدة هي البلاغ؛ ذلك أن سبب إعراضهم وإصرارهم على شركهم ومذاهبهم الباطلة أنهم فرحوا بنعم الدنيا من الغنى والصحة -كما فسر ابن عباس الرحمة هنا-، واغتروا ظانّين أنّهم نالوا المنى وبلغوا أقصى السعادات، وتجبروا وتكبروا عن الانقياد للحق، حتى إذا ما أصابتهم مصيبة وشدة نسُوا وجحدوا ما كان من النعم السابقة[3].

وهذا المعنى تجده مبيّناً في آية أُخرى في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ ﴾ [الروم: ٣٦].

ولقد أتى الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية بكلام بديع نفيس يجدر بنا أن ننقله بتمامه؛ لأنه يغني عن كلّ بيان. قال رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿فَرِحُواْ بِهَاۖ﴾ إشارة إلى دنوّ همتهم وقصور نظرهم فإن فرحهم يكون بما وصل إليهم لا بما وصل منه إليهم، فإن قال قائل الفرح بالرحمة مأمور به في قوله تعالى:﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ ﴾ [يونس: ٥٨] ، وهاهنا ذمّهم على الفرح بالرّحمة، فكيف ذلك؟ فنقول هناك قال: فرحوا برحمة الله من

(١) التحرير والتنوير، ١٣/١٣٤-١٣٥؛ التفسير المنير، الزحيلي، ١٣/١٦٢.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ١٢/٢٦-٢٨.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٧/٢٠٠؛ مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٧/٦٠٩.

4/30/2024

حيث إنها مضافة إلى الله تعالى وهاهنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم بما إذا كان من الله»[١].

ولا ريب أن الفرح بنعم الله المادية المقرون بالبطر وعدم شكر المنعم ونسيانه هو استدراج لصاحبه، ومكر به وإملاء له، وسيكون مصيره وخيماً أخذاً أليماً شديداً. وما أشدّ وقعَ التهديد الرباني وهو يصوّر مصيرَ من كان هذا حاله!! قال جلّ جلاله: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤]، فتلك الأمم وهؤلاء الأقوام الذين أرسل الله إليهم الرسل، لما تركوا ما وُعظوا به، والعمل بما أمروا به، وأعرضوا عنه وتناسوه، وجعلوه وراءهم ظهرياً بدّل اللهُ مكانَ بؤسهم رخاءً وسعةً في الآلاء وصنوف النعماء من الأرزاق والأموال والأولاد والصّحة في الأبدان والعيش الهني استدراجاً لهم، فلمّا فرحوا بما فتح الله عليهم من تلك النعم والخير فرحَ بطر وازدهاء من غير انتداب شكر ولا رجوع إلى الله وتوبة إليه، وظنّوا أنّ ما وسّع الله عليهم من أبواب تلك الخيرات إنّما كان باستحقاقهم، وظهر لذلك أن قلوبهم قست وماتت ولا تنفع معها موعظة ولا يرجى لها انتباه بأي حال من الأحوال فاجأهم الله فانتقم منهم وأخذهم في آمنِ ما كانوا، وأهنأِ ما استكانوا، وأعجبِ ما كانت الدنيا إليهم، فإذا هم واجمون متحسرون آيسون من كلّ خير[٢].

روى الإمام أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتَ اللهَ يُعطي العبدَ من الدنيا على مَعاصيه ما يُحِبُّ فإنما هو اسْتدراجٌ ثم تلا: فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ »[٣].

ولن يقتصر هذا العقاب عليه في الدنيا بل سيكون مصيره في الآخرة أشدّ وأنكى، فهو سيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، وسوف يدعو خساراً وهلاكاً، وسيسعَّر في نار جهنّم؛ جزاءً على فرحه البطر الأشر عندما كان مع أهله في هذه الدنيا يطغى في الفرح والسرور، ويركب شهواته ويتبع هواه، ولا يفكر في العواقب، فأعقب هذا الفرح اليسير حزناً طويلاً وندامة وحسرةً[٤] ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الانشقاق: ١٠ - ١٣].

لذلك وبناء على ذلك الوعيد وهذا المصير الوخيم، ينبغي للمؤمنين الذين يؤمنون بقضاء الله وقدره ويعلمون أنه لا توجد مصيبة في هذه الدنيا من قحط وجدب وقلة زرع ومال وفقر وعوز وذهاب أنفس وخوف وجوع وانعدام أمن ...الخ إلاّ وهي مكتوبة عند الله مسطرة في لوحه المحفوظ –ينبغي لهم- ألا يحزنوا على ما فاتهم من نعيم الدنيا الفانية حزناً ينسيهم الصبر والرضا بقضاء الله وقدره، وألاّ يفرحوا فرحاً شديداً يطغيهم بطراً وأشراً

(١) مفاتيح الغيب، ١٠١/٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٢٩/٣؛ الكشاف، الزمخشري، ٢٣/٢؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ١١٢/٢؛ مفاتيح الغيب، الرازي، ٥٣٤/١٢-٥٣٥.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، (١٧٣١١)، ٤٥٧/٢٨. وحسنه شعيب الأرنؤوط وغيره.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٠٠/٣١؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٥٣/٨؛ التفسير المنير، الزحيلي، ١٤٢/٣٠.

4/30/2024

على ما أعطاهم من النعم[1] ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

وهو المعنى الذي فهمه سليمان عليه السلام حين ردّ الهدايا التي وصلت إليه من بلقيس من الذهب والأواني والجواهر واللآلئ النفيسة، مبيّناً بكلامه عدم اكتراثه بتلك الأموال وإعراضه عنها، وموضّحاً أنّ مثله لا يُستمال بالهدايا ولا يُصانَع بالمال ليتركهم على شركهم وباطلهم وملكهم، فما آتاه الله من النعم التي يشكر الله عليها خيرٌ مما لديهم، بل هم الذين يفرحون بما يُهدى إليهم حبّاً لزيادة أموالهم وينقادون للهدايا والتحف، أو بما يَهدونه إلى غيرهم افتخاراً على أمثالهم[2]. قال تعالى في وصف محاورة سليمان عليه السلام لرسول بلقيس: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِيَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ﴾ [النمل: ٣٦]

ولعمري، ما أحوج المسلمين في هذا العصر إلى أن يصطبغوا بهذا السلوك الرفيع من الترفع عن الفرح والوله بالمال والإتاوات والتكالب على الدنيا ومتاعها، حتى لا تُشترى ذممُهم، وينقادوا للباطل، ويبيعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل!! فتعساً وسحقاً لعبد الدرهم والدينار!!

وخلاصة القول: إنّ القرآن الكريم نبّهنا إلى أنّه من المصادر التي تثير مشاعر الفرح لدى الإنسان هي النعم المادية التي يغدقها الله ويسبغها عليه من الأموال والأولاد والأرزاق والصحة والغنى والقوة...الخ. فإن شكر الله عليها نجا وأفلح، وإن بطر وأشر بها وافتخر وطغى وتجبر خاب وخسر وهلك.

المطلب الثاني: المصادر المعنوية:

ونعني بالمصادر المعنوية للفرح تلك المثيرات والأسباب التي تبعث في النفس مشاعر الفرح في نفس الإنسان، وليست لها ماهية مادية حسية متعلقة على نحو مباشر بالحواس. وباستقراء آيات موضوع الفرح في القرآن الكريم نجد أن هذه المصادر تتمثل فيما يلي:

١) الفرح بالدين:

إنّ نزوع الإنسان إلى دين يدين به في حياته لهو أمر فطري جُبلت عليه طبيعة الإنسان، لذلك تجد الناس على اختلاف ثقافاتهم ومشاربهم وشعوبهم يدينون بدين ما وينافحون عنه ويفرحون به، وقلّما تعثر على مجموعة بشرية لم تتخذ لنفسها عقيدة أو عقداً اجتماعياً كمّا سمّاه إميل دوركايم به تنتظم شؤون حياتهم.

وعندما تحدث البيان الإلهي عن الفرح، لفت أنظارنا إلى قضية مركزية تتعلق بالفرح بالدين ومبادئه من حيث هو، وقد ميّز القرآن الكريم عند توضيحه لهذا الموضوع بين نوعين من الفرح، محمود ومذموم؛ بناءً على نوعية الدين أو المبادئ التي يفرح بها صاحبه أو معتنقه، حقّاً كان أم باطلاً.

وأولى ركائز الفرح بالدين هو **الفرح بربوبية الله وألوهيته وبذكره**. ولقد شنّع القرآن على قبيحة من قبائح أولئك المشركين الجهلة والحمقى الذين يكفرون بالآخرة ويوم الميعاد، والذين كان من صفاتهم وسيئاتهم الكبرى أنه إذا

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩/٤٦٨-٤٦٩؛ التفسير المنير، الزحيلي، ٢٧/٣٢٧-٣٢٨.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٤/٥٥٥-٥٥٦؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/١٩٠-١٩١؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٤/١٦٠.

4/30/2024

ذُكر أمامهم لفظ التوحيد (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) من دون ذكر أصنامهم وأوثانهم وأندادهم وآلهتهم المزعومة التي يعبدونها من دون الله امتلأ قلوبهم غمّاً وغيظاً وانقبضوا وظهرت آثار النفرة على أديم وجوههم. بينما إذا ذكر من سوى الله من أصنامهم وأوثانهم من اللات والعزة ومناة وهبل استبشروا وفرحوا وامتلأ قلوبهم سروراً حتى تنبسط بشرة وجوههم وتتهلل فرحاً وبهجة[١]. فما أجهلهم وما أشدّ حمقَهم!! قال تعالى في وصفهم: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر: ٤٥].

وإذا كان هذا هو حال المشركين الذين يفرحون بذكر آلهتهم المزعومة، ويشمئزون بذكر الله وحده لا شريك الله، فإن المفهوم المخالف للآية دعوة للمؤمنين الذين يؤمنون بالآخرة إلى أن يفرحوا بالله ويستبشروا بذكره، فكما قال الإمام الرازي: «ذكر الله رأس السعادات وعنوان الخيرات، وأمّا ذكر الأصنام التي هي الجمادات الخسيسة، فهو رأس الجهالات والحماقات»[٢].

والذي نفسي بيده، لو عقل المسلمون اليوم هذا المعنى، لما وجدت في دنياهم من يتخذ أصناماً من نوع آخر يفرح به ويعشقه، فأنت تراهم اتخذوا من الفنانين والفنانات والراقصين والراقصات والرياضيين والرياضيات مصدر فرح لهم حتى أنسوهم ذكر الله. مجالسُهم عامرةٌ بتتبع أخبارهم وحركاتهم وسكناتهم!! وإن تعجب فاعجب لمسلم يتخذ من أولئك الذين يسوقونه إلى نار جهنّم سوقاً بإلهائه عن ذكر الله ومحبته مصدرَ فرح له!!

ومن صور الفرح بالدين، **الفرح بمبادئه وتعليماته وهداياته** قال تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨]، وللمفسرين كلام طويل في تفسير هذه الآية، وتنوعت آراءهم في بيان المقصود من فضل الله ورحمته، إلا أنها جميعاً تصبّ في الإشارة إلى الفرح بالإيمان وبمبادئ الإسلام ومنهج القرآن وتوجيهاته التي تفضّل بها الله على عباده. فالله سبحانه وتعالى يهيب بالمؤمنين إلى أن يفرحوا بما أنزل من المواعظ والتوجيهات والأحكام والهدايات في كتابه العزيز على رحمته للعالمين محمد ﷺ والتي هي شفاء لما في الصدور ومنهج حياة لهم فيها سعادتهم، ففرحهم ذاك خير من متاع الدنيا الفانية ولذاتها الفانية[٣].

ويندرج في هذا النوع من الفرح بمبادئ الدين، **الفرح بكتاب الله تعالى**، إذ هو الكتاب الذي يحمل مبادئ الدين ومنهج الله وتوجيهاته إلى عباده، قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ ﴾ [الرعد: ٣٦] فمن صفات المؤمنين أنهم يفرحون بما أُنزل في القرآن العظيم. وسواء أفسرنا الذين آتيناهم الكتاب بأن المراد منهم أهل القرآن، أم المراد منهم الذين آمنوا بالرسول ﷺ من أهل الكتاب كعبد الله بن سلاّم وكعب وأمثالهما، فإن الصفة المشتركة بين الفريقين هي أنهم مؤمنون بما أنزل في القرآن. فإن كان المقصود منهم أهل القرآن فهم يفرحون بما جاء في القرآن من النور وأنواع التوحيد والمبادئ والأحكام التي هي منهج حياة لهم. وإن

(١) الكشاف، ١٣٢/٤؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٤٤/٥؛ التفسير المنير، الزحيلي، ٢٤/٢٤-٢٥.

(٢) مفاتيح الغيب، ٤٥٧/٢٦.

(٣) انظر ما ذكره المفسرون في تفسير هذه الآية: الكشاف، الزمخشري، ٣٥٣/٢؛ مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٦٩/١٧-٢٧٠؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٣٩/٤، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٤٤٨/٢، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البضاوي، ١١٦/٣.

4/30/2024

كان المقصود منهم أهل الكتاب الذين أعطوا التوراة والإنجيل وأسلموا فهم بدورهم يفرحون بما أنزل في القرآن؛ لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به؛ ولأنه مصدق لما معهم من ذكر الرحمن[١].

ولقد مدح المؤمنين في آية أخرى فوصفهم بأنهم ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ ﴾ [التوبة: ١٢٤]. فإذا ما أنزلت سورة تساءل المنافقون بعضُهم بعضاً استهزاءً وإنكاراً، أو قال بعضُهم لبعضِ المؤمنين: أيكم زادته هذه السورة إيماناً؟ فأما حال المؤمنين فتزيدهم هذه الآيات البيّنات تصديقاً ويقيناً وقربة من الله بزيادة العلم الحاصل من تدبرها، ويقرّون بنزولها من عند الله عزّ وجل، ويفرحون ويستبشرن بنزولها؛ لأنها تزيدهم كمال إيمان بعد إيمان، وترفع درجاتهم، وتزكي نفوسهم، وترشدهم إلى الصراط المستقيم والمنهج القويم السديد، وإلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وفي الآخرة[٢].

وإذا كان هذا الفرح بتعاليم الإسلام ومبادئه وهداياته مرغوباً فيه، فبالمقابل يعدّ فرح المشركين وأهل الباطل بما هم عليه من تعليمات أديانهم الباطلة ومن الشرك والضلالات والبدع فرحاً مذموماً قال تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. فهؤلاء الكفار والمشركون اتخذوا آلهة كثيرة وصار دينهم متقطعاً لكل فريق وزمرة وجماعة منهم صنمُه وعبادتُه الخاصة، وهم راضون جذلون فرحون مسرورون منشرحو الصدور بما هم عليه من مبادئ أديانهم وضلالهم معتقدين أحقيَّته[٣]. فهؤلاء ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢ ﴾ [الروم: ٣٢] أي لم يجتمعوا على الإسلام وكانوا شيعاً وفرقاً تشايعُ كلٌّ إمامَها الذي أضل دينها، وذهب كلّ فريق مذهباً، وأحدثوا البدع، وفرحوا بمذاهبهم وسرّوا بها وهم يحسبون باطلهم حقّاً[٤].

فمن صفات هؤلاء المشركين والكفار وتلك الأمم والفرق الضالّة أنّه إذا أتاهم الرسل بالحجج القاطعات، والبراهين الدامغات على صدق دعواهم وبطلان ما هم فيه من الضلال فرحوا بالأشياء التي يحسبونها علماً من الشبهات التي يطرحونها كقولهم: وما يهلكنا إلا الدهر، ولن نبعث، ولن نعذب، وبسفسطائهم الفلسفية العقيمة، أو أنهم فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء، فكان جزاؤهم أن أحاط بهم العذاب الذي كانوا يُكذّبونه ويستبعدون وقوعَه[٥]، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣ ﴾ [غافر: ٨٣]، وسيورثهم هذا الفرح والمرح بغير الحق وبالضلال والشرك وعبادة الأوثان

(١)الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٢٥/٩-٣٢٦؛ مفاتيح الغيب، الرازي، ٤٨/١٩؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٠١/٤-٤٠٢؛ الكشاف، الزمخشري، ٥٣٣/٢؛ التفسير المنير، الزحيلي، ١٨٧/١٣.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ١٠٢/٣؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٤٣٢/٢؛ التفسير المنير، الزحيلي، ٨٥/١١.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٧٢/١٨-٧٣؛ التفسير المنير، الزحيلي، ٥٩/١٨؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ٢٤٢/٩.

(٤) جامع البيان، الطبري، ١٠٠/٢٠-١٠١؛ مفاتيح الغيب، الرازي، ٩٩/٢٥؛ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ٧٠٠/٢؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٢٠٧/٤.

(٥) جامع البيان، الطبري، ٤٢٢/٢١؛ مفاتيح الغيب، الرازي، ٥٣٣/٢٧؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٤٥/٧.

4/30/2024

ومخالفة رسل الله وكتبه عذاباً أليماً في جهنّم وبئس المصير[1] ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر: ٧٥].

ومما يتصل بالفرح بمبادئ الدين وتعاليمه **الفرح بالطاعة** التي هي امتثال لأوامره واجتناب لنواهيه، ويقابله الفرح بالمعصية كفرح المنافقين بالتخلف عن الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١]، فمن قبائح أعمال المنافقين فرحهم بالتخلف عن الغزو وكراهتهم الجهاد مع النبي ﷺ ومع المؤمنين[2].

٢) الفرح بالانتصار:

فالإنسان يشعر بالفرح من نشوة النصر. فقد أكدت الدراسات النفسية أنّ أحد الأسباب الرئيسة للضحك والخبرات السارة هو الشعور بالانتصار على عدوّ ما، أو على تحدّ معين، أو الشعور بالتفوق[3].

ولقد أشار البيان الإلهي إلى هذا المصدر للفرح في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم: ٢-٥]. وسواء أكان المقصود من الآية فرح المسلمين بنصر الله الرّومَ على الفرس بعد أن غُلبوا قبل ذلك، لكونه انتصار أهل الدين والكتاب على من لا دين له ولا كتاب، ولكونه فرحاً بإنجاز وعد الله وما في ذلك من دلالة على صدق النبوة، أم كان المقصود فرَحَ المسلمين بغلبتهم المشركين كما رجحه الرازي، إذْ كانت غلبةُ الروم يومَ غلبة المسلمين المشركين ببدر -سواء أكان هذا أم ذاك- ففي كلا التفسيرين هو فرح بظهور الحق وازدياد قوته وزهوق الباطل وأفوله. ففي التفسير الأول تظهر صدق النبوة ويظهر صدق المؤمنين فيما راهنوا به المشركين من انتصار الروم على الفرس، أو يلاحظ فيه معنى الفرح بأن ولّى الله بعضَ أعداء المسلمين بعضاً حتى تفانَوا، وأصبحوا ضعفاء وزادت بذلك قوة المسلمين وشوكتهم عليهم جميعاً. وفي التفسير الثاني هو فرح بانتصار الحق على الباطل في ميادين القتال والصراع[4]. وهذا منزع حميد يدعو المؤمن إلى أن يعتز بدينه ويفرح بانتصاره في حلبات الصراع المستمر مع الباطل وأهله.

٣) الفرح بالإنجاز:

وقد استنبطتُ هذا المصدر للفرح من قوله تعالى ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨]، مخالفاً الدكتور زيد عمر العيص الذي رأى

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٥٣٣/٢٧؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٤٤/٧؛ التفسير المنير، الزحيلي، ١٦٣/٢٤.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ١١٣/١٦؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٦٦/٤.

(٣) الفكاهة والضحك: رؤية جديدة، شاكر عبد الحميد، ص١٢٢.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ٨٠/٢٥؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٦٦/٦-٢٧٣؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٢٠١/٤؛ التفسير المنير، الزحيلي، ٤٨/٢١-٤٩.

4/30/2024

فيه فرحًا بالكذب أخذاً بظاهر سبَبيْ النزول[١]. ويجدر بي هنا أن أستعرض سبَبَيْ نزول هذه الآية حتى يتضح ما أقصده بالفرح بالإنجاز:

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺكان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ. فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ﴾[٢].

وفي رواية أخرى في البخاري ومسلم أنّ مروان قال لبوّابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كلُّ امرئ فرح بما أوتي وأحبّ أن يُحمد بما لم يفعل معذَّباً لنعذبَنَّ أجمعون. فقال ابن عباس ﷺ: وما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبي ﷺ يهودَ، فسألهم عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم. ثم قرأ ابن عباس: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ﴾[٣].

والذي رجّحه المحققون هو كون هذا النص عاماً لكلّ من هذا شأنه، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٤].

ويبدو من اعتراض مروان، ومن فعْلِ المنافقين أنّ القضية تتعلق هنا بأن يفرح الإنسان بالفعْل والعمل، وأن يحب أن يحمد عليه، وهو أمر فطري لدى جميع الناس، ولكن وجه استنكار الآية هنا إنّما تتعلّق بتشبعهم بما لم يعطَوا، وهو ما حذّر منه الرسول ﷺ في الحديث: «المتشبع بما لم يعطَ كلابس ثوبي زور»[٥].

فالفرح بالعمل وبالإنجاز من حيث هو، وحب الحمد عليه، ليس مذموماً بحدّ ذاته، وإنّما المذموم، هو إمّا الادعاء الفارغ بالإنجاز الذي لا صورة له في الواقع مع استشراف النفس إلى المديح ،كما هو شأن كثير من أدعياء العلم والبطولة والإنجازات في عصرنا الحالي، وإمّا التسميع بالإنجاز وإظهاره للناس رياء وسمعة.

ومماّ يدعّم هذا الرأي أنّنا نجد القرآن في بعض آياته التي تناولت الفرح يبرز دائماً استبشار المؤمنين بجزائهم الذي سيلقونه في الدار الآخرة نتيجة أعمالهم وطاعاتهم التي قاموا بها في هذه الحياة الدنيا. فهو فرح بالجزاء على العمل والإنجاز، كما سنبينه في النقطة الآتية. وقد ورد في السنّة ما يدلّ على أنّ الفرح بالإنجاز وعمل الخير إذا

(١) الفرح في ضوء القرآن الكريم، زيد عمر العيص، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٣٣هـ، منشور على الإنترنت، ص٣٥.

(٢) صحيح البخاري، (٤٥٦٧)، ٦/٤٠؛ مسلم، (٢٧٧٧)، ٤/٢١٤٢.

(٣) صحيح البخاري، (٤٥٦٨)، ٦/٤٠؛ مسلم، (٢٧٧٨)، ٤/٢١٤٣، سنن الترمذي، (٣٠١٤)، ٥/٢٣٣.

(٤) انظر ما كتبه العلامة فضل عباس رحمه الله في تحقيقه لهذه المسألة في كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن)، ص٣١٨ فما بعدها، فقد ردّ على من جعل الآية من قبيل العام الذي أريد به الخصوص كالإمامين الزركشي والسيوطي رحمهما الله بكلام نفيس.

(٥) أخرجه البخاري، (٥٢١٩)، ٧/٣٥، ومسلم، (٢١٢٩) و(٢١٣٠)، ٣/١٦٨١.

4/30/2024

لم يكن رياءً وسمعة فهو فرح لا إشكال فيه، فعن أبي ذر ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»[1].

٤) الفرح بالجزاء:

وهذا الفرح نوع من الرضا الذاتي الذي يشعر به الإنسان عندما يُقَدَّر ما يقوم به من جهد وعمل، أو ما يحقّقه من إنجازات؛ فالإنسان بطبعه يحبّ أن تُقيَّم أعمالُه وتقدَّر أفعالُه. فالفرح الذي يشعر به الطالب وهو يكرَّم أمام زملائه نابعٌ من شعوره بأنّ سهرَه الليالِيَ الطوالَ وجِدَّه في العمل لم يذهب سدىً. وهذا ما يسمّى عند علماء النفس بالحاجة إلى التقدير كما هو معلوم في سلّم مَاسْلو الشهير للحاجات.

والقرآن بأسلوبه التربوي الفريد يستثير دائماً في نفس المؤمن هذا الشعورَ الفطريَّ عندما يحدثه عن نعيم الجنة، وكأنّه يطمئنه بأنّ جهده الذي يبذله في هذه الحياة الفانية هو موضع تقدير من المولى عزّ وجلّ وسيلقى الجزاء الذي يستحقه. وترى القرآن في كلّ ذلك يذكّره بتلك اللحظة العاطفية العميقة التي تشعُّ فرحاً وسروراً وهو يكرَّم على أعماله. إنّك لتقرأ مثلاً قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١ ﴾ [آل عمران: ١٧٠-١٧١]. فيندمج عقلك وقلبك مع تلك اللحظة الحانية التي ستشهد التكريم الرباني لعباده المصطفَيْنَ الأخيار على رؤوس الأشهاد، فتندفع في ساحة الوغى غير آبه بالمكاره، وتبيع نفسك ومالك وتبذلها في سبيل الله من أجل نيل تلك الفرحة الكبرى بتقدير المولى سبحانه وتعالى لعملك وجهادك ومنْحِك الجزاءَ الأوفى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ﴾ [التوبة: ١١١]. وإنّ قلبك ليشرف ويتطلع إلى ذلك اليوم الذي ستكون من الفريق الناجي الذي سيُقال له تكريماً له على طاعاته ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠ ﴾ [الزخرف: ٧٠].

٥) الفرح بمصائب الآخرين:

فالمكاره والشدائد التي قد تصيب من هو عدوّ أو خصم للفرد قد تكون مصدر فرح له، وهو فرح مصحوبٌ غالباً بالشماتة، ناجمٌ في أكثر الأحيان عن الحسد والبغض.

وإنّك لتجد هذا السّلوك المشين لدى المنافقين، فقد فضح القرآن كيدَهم وخبْثَ بواطنهم تجاه النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ٥٠ ﴾ [التوبة: ٥٠]. فمن قبائح هؤلاء المنافقين أنّه إذا أصاب النبيَّ ﷺ ما يسرّه من نعمة أو ظفرٌ وانتصار أو غنيمة في بعض غزواته ساءهم ذلك؛ لفرط حسدهم وحقدهم على النبيﷺ. أماّ إنْ أصابته نكبةٌ أو انكسارُ جيشٍ كما حصل بغزوة أحد أو شدةٌ أو أيُّ مصيبةٍ يُظهروا شماتتهم ويقولوا لبعضهم بعضاً: قد أخذنا

(١) أخرجه مسلم، (٢٦٤٢)، ٢٠٣٤/٤؛ وأحمد في المسند، (٢١٣٨٠)، ٣٠٥/٣٥.

4/30/2024

أمرنا الذي نحن مشهورون به من الحيطة والحذر والتيقظ والتعقل والعمل بحزم وحكمة وتقدير المواقف والعواقب وعدم تهورنا وإلقاء أنفسنا إلى التهلكة، ثم ينصرفون عن متحدثيهم ومكان اجتماعهم إلى أهليهم ومنازلهم فرحين أشد الفرح مسرورين جذلين بما نال النبي ﷺ من المصيبة وسلامتهم منها[1]. وليس هذا موقفهم وحقدهم تجاه النبي ﷺ فحسب، بل هو ديدنهم تجاه المؤمنين في كل عصر ومصر، فهم من شدة عداوتهم للمؤمنين يحزنون بانتصارات المسلمين وتغيظهم وحْدتُهم وألفتُهم والنّعمُ التي تصيبهم، ويبتهجون ويُفرطون في السرور بالمصائب والشدائد التي تنزل بالمسلمين. يقول تعالى وصفاً حالَهم خطاباً للمؤمنين: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ودونك ما يجري في العالم اليوم، وكيف تكالبت قوى البغي والشرّ بدولهم ومنظماتهم على المسلمين وأحاطوا بهم إحاطة السوار بالمعصم، يرفعون لواء حقوق الإنسان والطفل والمرأة وحتى الحيوان وهذه الشعارات الرنانة في كل ناد وعلى كلّ منبر عندما يتعلق الأمر ببني جنسهم ومن هم على شاكلتهم في الملّة، حتى إذا ما اجتاحت المسلمين جائحةٌ، واستحرّ بهم القتل والذبح والتدمير والتشريد، لم ينبسوا ببنت شفة، واختفت بياناتهم ومعاهداتهم وحلّ محلّها الابتهاج والنشوة بمآسي المسلمين. فإلى الله المشتكى.

ولأدع القلمَ لصاحبه يحلّق بنا في ظلاله يصوّر لنا فيه هذا المشهد في تصوير فني رائع، ففي فناه تسكت الأقلام، قال عليه رحمة الله: «إنها صورة كاملة السمات، ناطقة بدخائل النفوس، وشواهد الملامح، تسجل المشاعر الباطنة، والانفعالات الظاهرة، والحركة الذاهبة الآيبة. وتسجل بذلك كله نموذجاً بشرياً مكروراً في كل زمان وفي كل مكان. ونستعرضها اليوم وغداً فيمن حول الجماعة المسلمة من أعداء. يتظاهرون للمسلمين-في ساعة قوة المسلمين وغلبتهم- بالمودة، فتكذبهم كلّ خالجة وكل جارحة. وينخدع المسلمون بهم فيمنحونهم الودّ والثقة، وهم لا يريدون للمسلمين إلا الاضطراب والخبال، ولا يقصرون في إعنات المسلمين ونثر الشوك في طريقهم، والكيد لهم والدس، ما واتتهم الفرصة في ليل أو نهار...ومرة بعد مرة تصفعنا التجارب المرة، ولكننا لا نفيق. ومرة بعد مرة نكشف عن المكيدة والمؤامرة تلبس أزياء مختلفة ولكننا لا نعتبر. ومرة بعد مرة تنفلت ألسنتهم فتنم عن أحقادهم التي لا يذهب بها ود يبذله المسلمون، ولا تغسلها سماحة يعلمها لهم الدين. ومع ذلك نعود، فنفتح لهم قلوبنا ونتخذ منهم رفقاء في الحياة والطريق! وتبلغ بنا المجاملة، أو تبلغ بنا الهزيمة الروحية أن نجاملهم في عقيدتنا فنتحاشى ذكرها، وفي منهج حياتنا فلا نقيمه على أساس الإسلام، وفي تزوير تاريخنا وطمس معالمه كي نتقي فيه ذكر أي صدام كان بين أسلافنا وهؤلاء الأعداء المتربصين! ومن ثم يحل علينا جزاء المخالفين عن أمر الله. ومن هنا نذل ونضعف ونستخذي. ومن هنا نلقى العنت الذي يوده أعداؤنا لنا، ونلقى الخبال الذي يدسونه في صفوفنا»[2].

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٦٦/١٦؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٨٤/٣؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٥٧/٤؛ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، ٤١٣/١٠؛ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، ٤٨٩/١.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤٥٣/١.

4/30/2024

وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّ مسألة الفرح بمصائب الآخرين الأعداءِ ليس دائماً سلوكاً خاصاً بالمنافقين فقط وإن كانوا هم من يرفعون لواءه؛ فقد يفرح المؤمن بما يصيب عدوَّه من بلاء إذا كان في ذلك انتصار لدينه وظهور للحقّ وإزهاق للباطل. ودليلنا على ما نقوله هو ما أشرنا إليه سابقاً من فرح المؤمنين بانتصار الروم على الفرس، وهو يقتضي بالضرورة والملازمة فرحهم بهزيمة الفرس وما أصابهم من انتكاسة ومصيبة. والله أعلم.

4/30/2024

المبحث الثالث: أنواع الفرح

من خلال ما مرّ معنا من تفصيل القول في المصادر التي تسبب الفرح للإنسان في المبحث السابق، يمكن تقسيم الفرح إلى نوعين بناءً على من يكون هو المنفعل والمتأثر بتلك المصادر، وهما ما اصطلحنا على تسميتهما بالفرح الذاتي، والفرح الغيري:

أولاً) الفرح الذاتي:

ونعني به ذلك الفرح الذي تكون مثيراتُه عائدةً إلى الشّخص الفَرِح ذاته ومرتبطةً به، بحيث يكون هو المتأثرَ المباشرَ بالمصادر التي تجلب الفرَحَ سواءً أكانت مصادر مادية أم معنوية. وبعبارة أخرى هو تلك الاستجابة الانفعالية من الخبرات السارة التي تثيرها في النفس مثيراتٌ متصلةٌ بالفرد المستجيبِ ذاتِه.

وباستعراض الآيات السابقة التي تحدثت عن الفرح، نلاحظ أنّ أغلبها من الفرح الذاتي. فالفرح بالطبيعة على سبيل المثال وما يكتنفه من صور جمالية إنما يرتبط مباشرة بالشخص الفرِح ذاته الذي يستمتع بنظره إلى تلك المناظر الخلابة، ومثاله قوله تعالى: ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ ﴾ [النمل: ٦٠]. فهذا المثير الطبيعي من الحدائق إنّما ارتبط بالفرد الفَرِح المسرورِ نفسِه من خلال حاسة البصر فأورثه سروراً وبهجة. والأمر ذاته يقال عن بقية الآيات.

والفرح بالنعم التي يغدقها الله على الإنسان، هو فرح ذاتي من ناحية أنّ تلك النّعم على علاقة مباشرة بالفرد نفسه فهو المتأثر والمنفعل بها.

والفرح بالدين بوصفه مصدراً معنوياً إنما هو فرح ذاتي من جهة كون الشخصِ الفَرِح به المبتهِجِ بتعاليمه معتنقاً له ومخاطباً بتعاليمه. وقس على المصادر الأخرى بناء على هذا المعيار الذي وضعناه.

ولا داعي لسرد الآيات مرّة أخرى للتدليل على هذه النقطة، فجلّ الآيات عن الفرح والاستبشار والسرور والبهجة كلّها من هذا القبيل. وسنكتفي بذكر الآيات التي تتعلق بالفرح الغيري الآتي لقلّتها، ليُعلم أنّ ما عداها هو من نوع الفرح الذاتي.

ثانياً) الفرح الغيري:

وهو على عكس النوع الأولى استجابة انفعالية تكون في صورة خبرات سارة يشعر بها الإنسان نتيجة مثيرات تؤثر في غيره يربط بينهما مشاعر متبادلة إيجابية أو سلبية. فمصادر الفرح ومثيراته في الفرح الغيري لا تؤثر مباشرة في الشخص الفرِح، بل هي مرتبطة بشخص آخر تجمع بينهما علاقة عاطفية ما، قد تكون إيجابية من حب وتقدير، أو سلبية من بغض وعداء، فتدفعه تلك العلاقة الجامعة بينهما إلى الفرَح به.

وباستقراء آي القرآن الكريم نجد أنّ العلاقة التي تجمع بين الفردين وتسبب لأحدهما الفرح بما يصيب الآخر:

إمّا أن تكون **علاقةً إيجابيةً يسودها وئام ومحبة وأخوة**، ولا شكّ أن الفرح الغيري الناجم عنها سيكون فرحاً بسبب مثيراتٍ إيجابية وخيرٍ يصيب الطرف الآخر. وقد مثّله القرآنُ بفرح الشهداء بإخوانهم الذين هم في الدّنيا

4/30/2024

الذين هم على شاكلتهم في الجهاد مستبشرين بقدومهم عليهم مستشهدين في سبيل الله وقد نالوا منازل الشهداء كما نالوا هم شرف الشهادة، حتى يستحقوا مثلهم الرزق والفضل والنعيم الذي أعده الله لهم، فحالهم كحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه، ويفرح بحصول ذلك الخير له[1]. قال تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٠-١٧١].

وإمّا أن تكون **علاقة سلبية يسودها عداء وبغض** بين الطرفين، وحينها فإن الفرح الغيري ينجم في غالب الأحيان عن المثيرات السلبية المزعجة التي تصيب الطرف الآخر، إذ يفرح كلّ طرف بما يحل بالآخر من نكبات ونكسات. ومثاله فرح المنافقين بالمصائب والشدائد التي تصيب النبي ﷺ أو تصيب المؤمنين عموماً كما صوّره تعالى في قوله خطاباً للنبي ﷺ: ﴿ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [التوبة: ٥٠] ، وفي قوله تعالى خطاباً للمؤمنين: ﴿ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَا ﴾ [آل عمران: ١٢٠]. فأنت ترى أن العلاقة السائدة بين هؤلاء المنافقين وبين المؤمنين هي علاقة عداوة وحسد، وهي ما تدفعهم إلى أن يبتهجوا ويفرحوا بما يؤذي من هم أعداؤهم في نظرهم.

وقد يفرح الإنسان فرحاً غيريّاً بخير يصيب من بينه وبينه علاقة سلبية، ليس لأجل ذلك الغير هو ذاته، وإنّما لمعنى خارجي أو قيمة عليا يعود نفعُها للشخص الفرح نفسِه. ومثاله ما ذكره البيان الإلهي من فرح المؤمنين بانتصار الروم على الفرس:﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الروم: ٢-٥].

فأنت ترى أنّ العلاقة بين المسلمين والروم هي علاقة سلبية متناقضة فهؤلاء كفارٌ أعداءٌ للمسلمين، ولكن مع ذلك فرح المسلمون لانتصارهم بسبب معنى أو قيمة خارجية ذات علاقة بانتصارهم يعود نفعها على المسلمين، وهو إمّا ظهور صدق دينهم ووعد ربّهم، أو تسليط الأعداء بعضهم على بعض ليفنوا أنفسهم بنفسهم، فيضعفوا جميعاً، وتقوى شوكة المسلمين، على نحو ما بيناه سابقاً .

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٤٢٥/٩؛ الكشاف، الزمخشري، ٤٤٠/١؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٣١٩/١؛ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٩٢/٤-١٩٤.

4/30/2024

المبحث الرابع: حكم الفرح وأصناف الناس فيه

لقد سبق أن ذكرنا بأن الفرح هو انفعال أو استجابة انفعالية تبدو في لذة نفسانية وخبرات سارة تثيرها مثيرات خارجية، ويظهر أثرها غالباً في تعبيرات الجسم الخارجية.

وبناء على هذا فإنّ الفرح من حيث هو سلوك انفعالي فطري قسري ليس للإنسان سلطان اختياري عليه، لا يمكن أن يحكم عليه بالوجوب أو الحرمة أو الكراهة، أو بالمدح أو بالذم؛ لأن ذلك إنما يتناقض مع مقاصد الإسلام الذي هو دين الفطرة الذي ينسجم دائماً في أحكامه مع فطرة الإنسان. فلو ذهب الإسلام مذهباً يوجب بموجبه على أفراد الناس الفرحَ بوصفه عاطفة إنسانية طبيعية ويحملهم حملاً وقسراً عليه لكان تكليفاً بما لا يطاق. فالإنسان لا يملك خيارَ أن تقع عيناه على منظر خلاب عُجاب يسحر الألباب ويأسر النفوس، ثم يشيح بقلبه عنها مرغِماً نفسَه على عدم الابتهاج به.

لذلك فإنه عندما يذهب العلماء والباحثون إلى تقسيم الفرح إلى ممدوح، ومذموم، ومباح، لا ينظرون إلى جوهر الفرح وماهيته، وإنما ينطلقون في هذا التقسيم من المثيرات الخارجية التي يمكن للإنسان أن يتحكم فيها ويسدّ منافذها، ومن الآثار الناجمة من الفرح.

فالفرح بالمال على سبيل المثال قد يكون باعتبارين مذموماً تارة، وممدوحاً تارة أخرى، بالنظر إلى الآثار التي تنتج من هذا الفرح، فإما أن يصحَبه شكرُ المنعم وعدمُ بطر وأشر وطغيان فيه، بحيث لا ينسيه ذلك الفرحُ الوفاءَ بحق الله فيه فيكون ممدوحاً، وإمّا أن يكون على العكس من ذلك فرح بطر وازدهاء يطغى به صاحبه وينسى حق الله فيه فيكون حينئذٍ مذموماً. وأبرز مثال مجسّد لما نقول فرح كلّ من النبيّ سليمان ﷺ وفرح قالون.

ولكي أجلّي هذه الحقيقة يحسن بي أن أنقل كلاماً دقيقاً موزوناً بهذا الخصوص لشيخنا الإمام شهيد المحراب العلّامة البوطي رحمه الله في كتابه الماتع (من الفكر والقلب)، وقد سئل مرّة عن حكم الإسلام في الحبّ. فأجاب رحمه الله: «أرأيت إلى الإسلام هل يحكم بشيء على الكراهية والحزن والخوف والجوع؟ فهو أيضاً لا يحكم بشيء على الحب. وبيان ذلك أنّ أحكام الإسلام إنّما هي عبارة عن التكاليف المنوطة بالعباد من إيجاب وتحريم وندب وكراهية وإباحة. وهي إنما تتعلق بما يصدر عن الإنسان من أفعال اختيارية، لا بما استكنّ فيه من انفعالات ومشاعر قسرية ... ألم تسمعهم يقولون: الإسلام دين الفطرة؟ ... ومعنى كونه دين الفطرة، أنه يلبي كلّ حاجات الإنسان وتطلّعاته وأشواقه الأصلية، في صورة من العدل والاستقامة والتنظيم، أي إنّه لا يكبت في الإنسان شيئاً من مشاعره وانفعالاته ووجدانه، ولكنّه يعلّمه السّبيل الأمثل إلى معالجتها والاستجابة لها. فالإسلام لا يقول لك في شيء من أحكامه: لا تجع، أو لا تكره، أو لا تحب، ولكنه يقول لك: إذا جعت فلا تسرق، وإذا كرهت فلا تظلم، وإذا أحببت فلا تنحرف. ثمّ إنّه يضع أمامك لمعالجة الجوع، مشروعية الكدح والعمل من أجل الرزق، ويضع أمامك لمعالجة الكراهية، نظام العدل والمقاضاة في الحقوق. ويضع لمعالجة ما تلقاه بين جنبيك من لواعج الحب قانون النكاح والزواج. ومن هنا تعلم أنّ الإسلام لا يحاسب الإنسان على شيء من هذه

4/30/2024

المشاعر والانفعالات التي جبلت عليها النفوس، ولكنّ الإسلام إنّما يحاسب الإنسان على ما قد يجترحه من أفعال غير مشروعة بسائق تلك المشاعر والانفعالات»[(١)].

إذا علمت ذلك فإن الحكم على الفرح بالمدح أو الذّم أو الإباحة إنّما هو بناء على ما يقيّد به وما يتعلّق به من المصادر والأسباب التي تكون وراءه. وإنك لتجد في آيات القرآن الكريم هذا التقسيم إلاّ أنّ الملاحظ هو غلبة الفرح المذموم على حساب الممدوح.

وسنشرع فيما يلي في بيان ما يندرج تحت هذه التقسيمات الثلاث الشائعة لدى كلّ من بحث في موضوع الفرح[(٢)]: الفرح المحمود، والفرح المذموم، والفرح المباح، وسنكتفي بذكر نوع الفرح: والدليل عليه من غير أن نسهب في الشرح حتى لا نقع في التكرار:

المطلب الأول: الفرح المحمود:

وصوره الواردة في القرآن الكريم تختصّ بالمؤمنين، وهي:

١) الفرح بالدين ومبادئه وتعليماته: وهو فرح رغب المولى سبحانه وتعالى المؤمنين فيه، حتى إنّ بعض المفسرين كالإمام الرازي فهموا أنّ الآية تفيد الحصر وأنه يجب ألا يفرح الإنسان إلا بذلك، وإن كان هو قد أطلق عليه الفرح بالسعادات الروحانية وجعله أعمّ[(٣)]، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨].

٢) الفرح بالقرآن وآياته وهداياته: فقد عقد القرآن مقارنة بين فريقين فريق من المؤمنين يؤمن بما أنزل على محمدﷺ، وفريق آخر من سائر الكفار من ينكر بعض ما ورد في القرآن، والمقارنة هنا تقتضي مدح الفريق الأول الذي يفرح بالقرآن وهداياته، وذمّ الفريق الثاني المنكر ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾ [الرعد: ٣٦]. والأمر ذاته تجده عندما قارن بين موقفي المؤمنين والمنافقين الذين في قلوبهم مرض عند نزول سورة من القرآن، فالمؤمنون يستبشرون به ويفرحون، والمنافقون يزدادون رجساً إلى رجسهم، وهذا

(١) من الفكر والقلب: فصول من النقد في العلوم والاجتماع والأدب، محمد سعيد رمضان البوطي، ص٢٢٧-٢٢٨. والنقاط الثلاث (...)، تشير إلى أنّ هناك كلاماً محذوفاً من النّص، أضربنا الصفح عنه اختصاراً.

(٢) اعتمد هذا التقسيم أيضاً الدكتور زيد عمر العويص في بحثه (الفرح في ضوء القرآن الكريم)، ص١٤ فما بعدها؛ والباحث نادر نمر وادي في رسالته للحصول على درجة الماجستير في الحديث الشريف وعلومه من الجامعة الإسلامية بغزة بعنوان (الفرح والحزن في ضوء السنة النبوية: دراسة موضوعية)، ٢٠١٠م، ص٨٠ فما بعدها؛ والباحث أحمد بن عبد العزيز المنصور في بحثه المنشور على الشابكة بعنوان (الفرح في الميزان)، تحت ما سماه: مجالات الفرح، ص١١ فما بعدها، والأستاذ أمين نعمان الصلاحي، في مقال منشور على الشابكة بعنوان (فقه الفرح في الكتاب والسنة) تحت ما سماه أنواع الفرح. ويبدو لي أنه التقسيم الشائع لدى الجميع ولا يكاد من كَتب عن الفرح في القرآن أو في السنة أو بشكل عام مما اطلعت عليه إلا ويكتب فيه، بل اقتصروا على هذا التقسيم دون سواه، وقد اتفقوا في كثير من الأنواع، واختلفوا في أمور يسيرة، وسنحاول في بحثنا أن نصنف هذه الأنواع بناء على ما فصلنا القول فيه في المباحث الماضية من دون أن نتقيد بما ذكروا.

(٣) مفاتيح الغيب، ٢٦٩/١٧.

4/30/2024

يستلزم بالضرورة مدح فعل الفريق الأول، وذم الثاني. ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ ﴾ [التوبة: ١٢٤].

٣) **الفرح بذكر الله وحده رباً معبوداً لا شريك له:** فالتشنيع على قبيحة المشركين والكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة الذين يغيظهم ذكر لفظ الجلالة مجرداً من أي شريك، بينما يفرحهم ذكر الأصنام والآلهة المعبودة سواه، يفهم منه مفهوم مخالفة مدح الذين يؤمنون بالآخرة الذين يفرحون بذكر الله ويشمئزون من ذكر ما سواه من المعبودات المزيفة. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥ ﴾ [الزمر: ٤٥].

٤) **الفرح بانتصار الحق وزهوق الباطل وعزّة الإسلام:** قال تعالى في وصف فرح المؤمنين بانتصار الروم على الفرس وما في ذلك من إظهار صدق وعد الله ونبوة محمدﷺ، وتولية الكافرين بعضهم بعضاً ليضعفوا وتقوى الجماعة المؤمنة، أو فرحهم بانتصارهم على المشركين يوم بدر ﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ ﴾ [الروم: ٢-٥].

٥) **الفرح بالنعم المصحوب بالشكر:** فالنبي سليمان ﷺ لم ينس وهو يضحك فرحاً مما آتاه الله من نعم تعليم الله إياه منطق الطير، وقدرته على فهم كلام النملة دون سواه –لم ينس- أن يتوجه إلى الله بالشكر على ما أسبغه عليه من النعم، وأن ينكسر أمام بابه طالبا منه أن يدخله برحمته مع عباده المصطفين مع أنه واحد منهم، ولم ينتش بالنعمة والفرح بها لينسى المنعم، قال تعالى في وصفه: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩ ﴾ [النمل: ١٩]. وهذا ما يجب عليه أن يكون عليه فرح كلّ مؤمن بنعم الله عليه.

٦) **الفرح بالجزاء على العمل والإنجاز:** فبعد أن شبه البيان الإلهي عملية بذل المؤمنين أنفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله بعملية الشراء والبيع، خاطبهم طالباً منهم أن يفرحوا بهذا البيع؛ فهو البيع الذي يستحق أن يُفرح بمثله ويستبشر بصفقته قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ﴾ [التوبة: ١١١]. وأولى مراحل هذا الاستبشار بهذا النعيم والجزاء تبدأ بمجرّد أن تفيض أرواحهم إلى باريها ويدخلوا في عالم البرزخ، ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١ ﴾ [آل عمران: ١٧٠-١٧١]. ثم عندما يفرغون من الحساب ويكرّمون بحسابهم حساباً يسيراً في ذلك اليوم الذي تضع كل ذات حمل حملها من شدة هوله يستبشرون فرحاً، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ ﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩]، ذلك أنّ الله حماهم من لهيب ذلك اليوم العصيب ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ ﴾ [الإنسان: ١١]. ليكتمل جزاؤهم بدخول الجنان هم

4/30/2024

وأزواجهم جزاءً على ما قدموا في هذه الدنيا إذ سيقال لهم: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٠] فهم في رياضها وحياضها وحدائقها وأشجارها مستمتعون مبتهجون ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الروم: ١٥]. ولتكون الجائزة الكبرى والفرح الأسمى بالنظر إلى الرب عزّ وجلّ، فهم عملوا في هذه الدنيا، وسهروا الليالي، وظمئوا الهواجر انتظاراً وشوقاً إلى هذه اللحظة القدسية ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ ﴾ [عبس: ٣٨ – ٣٩]. لأنّها ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾.

٧) **الفرح بخير الآخرين**: فمن شأن المؤمن أن يتمنى الخير لإخوانه المؤمنين، وأن يفرح لفرحهم، وأن يستبشر بالنعم التي تصيبهم. يقول الله تعالى في وصف استبشار شهداء بدر أو أحد أو الشهداء عموماً بإخوانهم الذين تركوهم خلفهم في الدنيا: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٠]. فهم يسرّون ويفرحون عند بشارتهم بقدوم إخوانهم -الذين تركوهم في الدنيا على منهج الإيمان والجهاد- مستشهدين في سبيل الله، كما استشهدوا هم، مستحقّين من الرزق والفضل الإلهي مثل ما أوتوا[(١)]. ففي الحديث الصحيح عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «ما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم قالوا يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ ﴾»[(٢)].

المطلب الثاني: الفرح المذموم:

وأغلب ما ورد من الآيات في القرآن الكريم إنّما كانت عن الفرح المذموم؛ وذلك لبيان خطورته، وآثاره السلبية في المجتمع، ولتهذيب نفوس المؤمنين وتوجيههم حتى لا يقعوا في غائلته. وصوره قدر مشترك يتصف بها المنافقون والمشركون والكفار واليهود والمترفون:

١) **الفرح بالشرك والباطل والبدع**: وأولى مظاهر هذا الفرح هو استبشار المشركين بذكر أصنامهم وآلهتهم المزعومة التي يعبدونها من دون الله، واشمئزازهم واغتياظهم بذكر الله وحده لا شريك الله، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر: ٤٥]. فهؤلاء المشركين قطعوا دينهم وصار مزقاً فهم على ملل شتى وجماعات عدة، وكل فريق منهم راض وفرح بما هو عليه من ضلالات وبدع وشرك وعبادة أصنام وآلهة كثيرة قال تعالى في وصفهم: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. وقال أيضاً: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣٢]، وهم بدلاً من أن يستمعوا إلى نصائح الرسل الذين أرسلوا إليهم الرسل ليرشدوهم وينيروا لهم

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٩٢/٤؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٣١٩/١.

(٢) مسند الإمام أحمد، (٢٣٨٨)، ٢١٨/٤؛ مستخرج أبي عوانة، (٧٣٧٠)، ٤٧٠/٤؛ مسند أبي يعلى، (٢٣٣١)، ٢١٩/٤. وانظر مفاتيح الغيب، الرازي، ٤٢٦/٩؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٤٢/٢.

4/30/2024

الطريق القويم، يظلون متشبثين على ما هم عليه من بدع وضلالات وشرك، ويفرحون بها ظانّين أنّه الحق؛ لذلك استحقوا الهلاك المبين، ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [غافر: ٨٣]، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى إذ سيوضح لهم يوم القيامة أنّ سبب ما أنتم عليه من العقاب الشديد إنما هو نتيجة ما كنتم تبتهجون به في دنياكم من الباطل وعبادة الأوثان والبدع[١]، ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [غافر: ٧٥].

٢) **الفرح بالمعصية:** وذلك كفرح المنافقين بتخلفهم عن الجهاد في سبيل الله ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٨١]، واستبشار قوم لوط وفرحهم بالفاحشة ﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الحجر: ٦٧]. ومنه الفرح بالكذب، كفرح اليهود بكذبهم أمام رسول ﷺ وكتمانهم ما سألهم عنه ثمّ حبهم أن يحمدوا على ما فعلوا ويصفوا بأنهم أهل الدين والديانة والعفاف والصدق والبعد عن الكذب والوفاء[٢]: ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

٣) **الفرح بالنعم بطراً وازدهاءً والافتتان بها عن شكر المنعم:** كفرح قارون وبطره وطغيانه وتجبره على قومه بسبب ما أنعم الله عليه من النّعم الوفيرة، ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [القصص: ٧٦]، وكما هو شأن كلّ كافر ومشرك يفرح بالدنيا ومتاعها فرح بطر وطغيان وازدهاء وينسى الآخرة، ويجهل أنّ نعيم الدنيا ومتاعها وملذاتها لا تساوي شيئاً إن قورنت بالآخرة[٣] ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد: ٢٦]، وتجده مختالاً متفاخراً على غيره فرحاً بما وسّع الله عليه من النّعم بعد البؤس الذي عاشه ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [هود: ١٠] ، فمن طبعهم أنّهم يفرحون فرح تعلّق بالنعمة من دون أن يربطوها بالمنعم، إذ تُسكرهم نشوة التمتع بها عن أداء حق الله فيها[٤] ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ ﴾[الروم: ٣٦]، وينسَوْن سنّة الله في استدراج الكافرين الذين يفتح عليهم أبوابَ النّعم، فيسكرون بها، ويطغون فيها، ويبتهجون بها مسرورين بين ذويهم وأهلهم، ثم يهلكهم في هذه الدنيا فجأة جزاءً على ما اقترفوا، وهم في لهوهم يلعبون، وفي غيّهم يمرحون ويضحكون. ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤]، ثم يشقيهم في الآخرة فيسعّر بهم نار جهنّم[٥] ﴿ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الانشقاق: ١٠ - ١٣].

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٥٣٣/٢٧؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٤٤/٧؛ التفسير المنير، الزحيلي، ١٦٣/٢٤.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٤٥٦/٩-٤٥٧.

(٣) التحرير والتنوير، ١٣٤/١٣-١٣٥؛ التفسير المنير، الزحيلي، ١٦٢/١٣.

(٤) مفاتيح الغيب، ١٠١/٢٥.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٠٠/٣١؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٥٣/٨؛ التفسير المنير، الزحيلي، ١٤٢/٣٠.

4/30/2024

٤) **الفرح بمصائب الآخرين حسداً وحقداً وشماتة:** كفرح المنافقين بما يصيب النبي ﷺ من شدائد ومصائب ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [التوبة: ٥٠]، وكما هو شأنهم تجاه كلّ مؤمن من الفرح بما ينزل بهم من رزايا، وما يصيبهم من بلايا ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

المطلب الثالث: الفرح المباح:

وهذا الفرح قدر مشترك بين الناس جميعاً، مؤمنهم ومنافقهم، ومشركهم، فهو انفعال فطري طبيعي يشعر به الإنسان، ولا يتعلق به مدح أو ذم. ويكاد يقتصر في آي القرآن الكريم على الفرح بعناصر الطبيعة والبيئة المحيطة بالإنسان التي تورث البهجة والسرور في قلب الإنسان، وتتمثل صوره فيما يلي:

١) **الفرح بخضار الأرض وبما تنبته:** فالإنسان بفطرته التي خلقه الله عليها مجبول على الابتهاج بالجمال الطبيعي المبثوث في الأرض المتمثل في خضار أشجارها وحدائقها ومزروعاتها ونباتاتها وبساتينها. وقد أشار الباري سبحانه وتعالى إلى هذا النوع من الفرح في قوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥]. وفي قوله في آية أخرى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ [ق: ٧]. وفي قوله تعالى في آية ثالثة: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل: ٦٠].

٢) **الفرح بالمطر:** فنزول المطر وما يماثله من الثلج، يورث في القلب انشراحاً وانبساطاً وبهجة، خصوصاً إذا أتى بعد جدب وقحط، فهو عند الناس جميعاً على اختلاف بلدانهم وثقافاتهم وأجناسهم وألوانهم عنوان الخير والرحمة قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم: ٤٨]. والودق: هو المطر[(١)]. وقد كان النبيّ ﷺ يسرّ بالمطر، ففي الحديث عن عائشة زوج النبي ﷺ تقول كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه أقبل وأدبر. فإذا مطرت سُرّ به، وذهب عنه ذلك. قالت عائشة: فسألتُه فقال: «إني خشيت أن يكون عذاباً سُلّط على أمتي». ويقول إذا رأى المطر «رحمة»[(٢)].

٣) **الفرح بالطقس والمناخ:** فالإنسان ينعشه الهواء العليل والنسمات، ويفرح بالطقس الجميل الذي يتناسب مع مصالحه، يقول تعالى في تصوير إحدى صور الفرح بالطقس والمناخ المناسب للإنسان عند ركوب البحر:﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢].

---

(١) الكشاف، الزمخشري، ٤٨٥/٣؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٤٤/٥؛ تفسيرا لمنير، الزحيلي، ١٠٦/٢١؛ قال أبو حيان في (البحر المحيط)، ٢٩/٨: «الودق: المطر شديده وضعيفه، قال الشاعر: فلا مزنة ودقت ودقها ... والودق: مصدر ودق السحاب يدق وذقا، ومنه استودقت الفرس».

(٢) صحيح مسلم، (٨٩٩)، ٦١٦/٢.

4/30/2024

٤) **الفرح بالشكل الحسن والألوان الزاهية**: فالمنظر الجميل، والخلقة الحسنة، والألوان الجميلة تمتّع العين، وتبعث في النفس والقلب الانشراح والبهجة والسرور قال تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [البقرة: ٦٩].

وخلاصة القول: إن الفرح من حيث متعلقه كما ورد في القرآن الكريم قد يكون محموداً أو مذموماً أو مباحاً، ومن حيث أصناف النّاس فيه قد يكون للمؤمنين، أو المنافقين، أو المشركين والكافرين والمترفين، أو اليهود، أو الناس عموماً.

- فأمّا **المؤمنون** فهم يفرحون الفرح المحمود: بالإسلام ومبادئه وتعاليمه، وبالقرآن وهداياته، وبالله رباً وبذكره، وبعزّة الإسلام وانتصار الحق وزهوق الباطل، وبنعم الله وشكره، وبالجزاء الرباني على أعمالهم، وبالطاعات.
- **والمنافقون**، يفرحون الفرح المذموم: بالمعاصي وترك الطاعات، وبمصائب المؤمنين ورزاياهم شماتة وحسداً وحقداً.
- ويفرح **المشركون والكافرون والمترفون البطرون** الفرح المذموم: بالشرك والباطل والبدع؛ وبالنعم بطراً وافتتاناً بها، وبالمعاصي والفواحش والموبقات.
- **واليهود** يفرحون الفرح المذموم: بالكذب والخيانة والادعاءات الفارغة على الإنجاز الذي لا صورة له ولا أثر له في أرض الواقع.
- أمّا **الفرح الفطري المباح** بمناظر الطبيعة وعناصر البيئة فهو قدر مشترك بين **جميع الناس** على اختلاف مشاربهم.

4/30/2024

المبحث الخامس: زمن وقوع الفرح

ويتعلق الأمر هنا بتقسيم الفرح إلى أقسام أخرى من جهة الحياة التي يقع فيها فرح الإنسان ومشاعر بهجته وسروه. وهي منحصرة في الحيوات الثلاث المعروفة في العقيدة الإسلامية، الحياة الدنيا، وحياة البرزخ، وحياة الآخرة.

أولاً) الفرح الدنيوي:

وكما يبدو من اسمه يقصد به ذلك الفرح الذي يكون مسرحه وميدانه حياة الإنسان في هذه الحياة منذ ولادته حتى قبض روحه.

وإنّ القرآن قد أعطى مساحة كبيرة لهذا النوع من الفرح، فعالجه بجوانبها المختلفة، من حيث مصادره، وأماراته، وأصناف الناس فيه والمنهج القويم الذي ينبغي أن يسلكه في فرحه. فأغلب الآيات القرآنية عن موضوع الفرح إنّما كانت لهذه الحياة الدنيا. وقد سبقت الإشارة إليها ولا داعي لتكرارها هنا.

ولكن ما يهمّنا أن نشير إليه هنا هو أنّ الفرح الدنيوي هو قدر مشترك بين الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم وملحدهم وكلّ الأصناف، كما أنّه يكتنفه الأحكام المختلفة، فقد يكون مرغوباً فيه محموداً، وقد يكون مذموماً مرغوباً عنه، وقد يكون مباحاً على النحو الذي فصلنا القول فيه سابقاً.

والملاحظ أنّ أكثر الآيات التي تحدثت عن الفرح الدنيوي إنما كانت آيات مكّية، وذلك أنّ الإسلام جاء ليقوّم ما كان سائدً آنذاك من العادات السيئة والممارسات القبيحة التي كانت تسود المجتمعات، فأراد القرآن أن ينقلهم من ذلك الجوّ الموبوء المليء بالطغيان والتجبر والتفاخر بكثرة الأموال والأولاد والعصبية القبلية والفرح بمتاع الدنيا، إلى مجتمع يفرح فيه الإنسان بالمعاني السامية، ودونك هذه الآية التي في سورة يونس وهي مكية والتي تلخص ذلك ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨] فهذه مقارنة دقيقة بين ما على المؤمن أن يفرح به من فضل الإسلام ومبادئه، وبين الفرح بالمتاع كما هو الشأن الذي كان سائداً في المجتمع الجاهلي القرشي الذي عاصر بدايات الإسلام، وفي هذا مواساة للقلة المؤمنة التي آمنت بربها آنذاك بين ذلك المجتمع المليء بذاك البطر والتبختر. فالقرآن الكريم في آياته المكية هذه يشنّع على الكافرين والمشركين عاداتهم الآسنة في أفراحهم، ويبيّن تفاهة ما هم فيه من تقاليد ابتهاجاتهم، ليهذب بذلك نفوس المؤمنين، ويرشدهم إلى شخصيتهم المستقلة. استمع إلى نموذج من نماذج تشنيع القرآن لفرح أولئك المشركين في مكة. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر: ٤٥]. إنه فرح بالعقيدة الباطلة، مقابل ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من الفرح بالله وبمنهجه. وأنت تلاحظ أنّ القرآن الكريم في آياته المكّية هذه ربط بين موضوع الفرح والعقيدة التي كانت محور القرآن المكي.

وإذا ما انتقلنا إلى المجتمع المدني حيث هناك المجتمع المسلم في الدولة الإسلامية الوليدة التي تضم في جنباتها خليطاً من الرعايا المؤمنين وأقلية من اليهود والمنافقين، لاحظت أنّ القرآن الكريم انتقل إلى الحديث عن نوع آخر من الفرح يرتبط بالخبث والمكر وسوء الطوية والرياء وما شابه، وكأنّ القرآن يريد من خلال ذلك أن تكون

4/30/2024

للمسلمين شخصيتهم المتميزة في كل حياتهم بما في ذلك أفراحهم، وأتراحهم؛ فأرشد المؤمنين في المجتمع المدني إلى نوعية الفرح المذموم الذي يفرحه الأقوام الآخرون الذين يعيشون بينهم؛ وشنّع عليها، حتى يأخذوا حذرهم ويمتازوا عنهم في شخصية مستقلة في كلّ حياتهم حتى في أفراحهم ومرحهم وأعيادهم. ولقد حرص النبي ﷺ في أثناء مقامه في المدينة أن يخالف اليهود في كثير من القضايا، حتى تكون للشخصية المسلمة في مجتمعاتها خصوصيّتها التي تميّزها عن غيرها. والله أعلم.

ثانياً) الفرح البرزخي:

وهو الفرح الذي يكون في الحياة البرزخية التي تعقب الموت وتكون قبل البعث والوقوف في المحشر للحساب والفصل بين الناس، ففريق في الجنّة أو فريق في السعير. وقد خصّ الله سبحانه وتعالى هذا الفرح للمؤمنين الذين منهم الشهداء الذين وصف فرحهم في هذه الحياة البرزخية فقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، فهم يستقبلون رزق الله وما أنعمه عليهم بالفرح؛ لأنهم يدركون أنّه من فضله عليهم، وهو دليل رضاه عليهم بما بذلوا أرواحهم في سبيل الله، وهم مشغولون بمن وراءهم من إخوانهم، مستبشرون لهم لما علموه من رضا الله عن المجاهدين[(١)]. وقد روي عن ابن جريج وقتادة وروي عن السدي أن الشهيد يؤتى بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من إخوانه يبشر بذلك فيسر ويستبشر كما يستبشر أهل الغائب بقدومه عليهم في الدنيا[(٢)].

ثالثاً) الفرح الأخروي:

أمّا النّوع الثالث فهو الفرح الأخروي الذي يكون هناك في الدرا الآخرة في ذلك اليوم الذي لا ينفع مال ولا بنون، في ذلك اليوم الذي ترى فيه الناس سكارى وما هم بسكارى. في ذلك اليوم الذي سيكون الإنسان فيه أحوج إلى البسمة والفرحة أكثر من غيره. والفرح في الآخرة لن يكون إلا للمؤمنين فهم في يوم الجائزة والتكريم وحق لهم فيه أن يبتهجوا.

سيفرحون، عندما سيأخذون كتابهم بأيمانهم إشارة إلى نجاتهم من الحساب العسير، وسيغتبطون عائدين إلى أهليهم في الجنان فرحين بما أعطاهم الله من نعيمه [(٣)]، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الانشقاق: ٧- ٩]

وستعلو وجوههم النضارة والنور سروراً، بعد أن نجّاهم من شدة ذلك اليوم الرهيب، التي ستعبس فيه الوجوه خوفاً وهلعاً ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ [الإنسان: ١١]. ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [عبس: ٣٨ – ٣٩].

---

(١) في ظلال القرآن، ٥١٨/١.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٩٣/٤؛ وقد سبق أن ذكرنا في مبحث سابق عند الحديث عن (الفرح بخير الآخرين) حديث ابن عباس بهذا الخصوص عن شهداء أحد.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ٩٨/٣١؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٥١/٨.

4/30/2024

إنهم سيفرحون متمتعين بالمناظر الخلابة للرياض الوارفة بظلالها التي تأخذ الألباب وتأسر العقول ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الروم: ١٥].

ولم لا يفرحون و سيقال لهم فيها: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٠]. أي ادخلوا الجنة أنتم ونظراؤكم أو ونساؤكم المؤمنات مغبوطين بكرامة الله، مسرورين بما أعطاكم سروراً يظهر حُباره وأثره على وجوهكم[١].

والذي يبدو لي هنا من إطناب القرآن في حديثه عن الفرح الدنيوي وأصناف الناس فيه ومصادره، أن الباري جلّ جلاله، أراد أن يلفت أنظار البشر إلى العلاقة الوثيقة بين نوعية الفرح الذي يفرحه الإنسان في هذه الدنيا ومآله في الآخرة. فهو إمّا القنطرة التي تربطه بذاك الفرح الأبدي الخالد، والدهليز الذي ينفذ منه صاحبه إلى حياة وعيشة هنية خالدة ملؤها الحبور والبهجة، وإمّا هو المنحدر الذي سيودي به إلى وادٍ سحيقٍ في عذاب واصبٍ سيعضّ من أجله على يديه ندماً على ما فرط وفات، ولكن هيهات!!

فإن كان فرحه مصحوباً بشكر المنعم على نعمه، أورثه يوم القيامة والجزاء حبوراً ونضارة على وجهه، إذ هو الفرح الحقيقي الباقي، بينما فرحه الدنيوي فرح آني. وإن كان الآخر البطر الأشر، انقلب يوم التناد حسرة وندامة، ولات حين مندم!!

ومن يتتبع آيات القرآن الكريم يجد أنّه عقد مقارنات عجيبة ودقيقة بين الفرح الدنيوي والفرح الأخروي، لينبه البشر إلى أنّ الكيّس الفطن هو من يتطلع إلى المآل ليفرح أخيراً، لا من يفرح فرحاً آنياً سيعقبه ندم طويل. والحكمة تقول: إنّ من يضحك هو من يضحك أخيراً.

وسأترك القارئ في ختام هذا المبحث مع هذه الآيات البينات من أواخر سورة المطففين فهي توضح هذه الحقيقة ولا تحتاج إلى تعليق من أحد، فهي بذاتها معبرّة. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦].

فاللهمّ إنّا نسألك حسن الخاتمة حتى نكون ممن سيفرح وسيضحك أخيراً.

(١) جامع البيان، الطبري، ٦٣٩/٢١؛ الكشاف، الزمخشري، ٢٦٣/٤؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٩٥/٥؛ التفسير المنير، الزحيلي، ١٨١/٢٥.

4/30/2024

الخاتمة

من أبرز النتائج التي توصل إليها هذا البحث ما يلي:

١) يعدّ موضوع الفرح من الموضوعات البارزة التي عُنيت به آياتُ القرآن الكريم، ولاسيّما في القرآن المكّي، وقد تميّز الهدي القرآني في معالجته هذا الموضوعَ بالشمولية، في النظر إلى عناصره وزواياه وجوانبه المختلفة. فمن ناحية مفهوم الفرح، ركّز القرآن على الحديث عنه من حيث كونه انفعالاً داخلياً يكون لذة نفسية، ووضع له أمارات تدلّ عليه، وربطه ببعض المثيرات التي تسببه سواء أكانت مادية أم معنوية، إيجابية أم سلبية، ذاتية كانت أم غيريّة. وهو بذلك سبق المدارس النفسية الحديثة السلوكية منها والتحليلية في تعريف الفرح بوصفها استجابة انفعالية ذات مظاهر فيزيولوجية ومثيرات.

٢) أغلب الفرح الذي تحدث عنه القرآن الكريم كان عن الفرح المذموم، وجاءت معظم آياته مكّية، لتتناسب مع المنهج التربوي الفريد للقرآن في نقل المؤمنين من المجتمع الجاهلي الموبوء الذي كان يتغذى على مشاعر الفرح البطر والزهو والتفاخر والعقائد الباطلة والعادات الآسنة التي كانت تصحب أفراحهم ومجونهم، إلى مجتمع سامٍ يفرح فيه الإنسان بالمعاني السامية، ولا تُطغيه المادة ولا يركن إليها.

٣) وجاءت معظم آيات الفرح المدنيّة لتتحدث عن صنف آخر من الفرح يظهر لدى الرعايا غير المسلمين في الدولة الإسلامية الوليدة وفي المجتمع المؤمن الناشئ من المنافقين واليهود؛ حتى يكون المؤمنون على بينة من قبح عادات أولئك الأقوام في أفراحهم ومناسباتهم واجتماعاتهم، فيمتازوا عنهم وتَكونَ للمسلمين شخصيتُهم المستقلّة في منهج حياتهم، حتى في عادات أفراحهم.

٤) وضع القرآن الكريم للفرح علامات ومؤشرات يستدل بها على مشاعر الفرح المستكنّة في نفس الإنسان هما الضحك، ونضارة الوجه. وهي حقيقة مشتركة لدى جميع البشر باختلاف شعوبهم وألوانهم وثقافاتهم، فهي من التعبيرات المشتركة والمظاهر التي يعبر بها الإنسان عن فرحه.

٥) تحدث القرآن عن المثيرات التي تثير الفرح لدى الإنسان، والمصادر التي تسبب له الشعور بالفرح، وتنوعت بين المصادر المادية الحسية، وبين المصادر المعنوية؛ وأعطى القرآن الكريم لبعض المصادر المعنوية قيمة أعلى من المادية. وتحدث القرآن عن بعد آخر للفرح بناء على الشخص المتأثر بتلك المصادر والمثيرات، فإن كان هو الفرد ذاته كان فرحاً ذاتياً، وإن كان غيره يربط به علاقة ما إيجابية أم سلبية، كان فرحاً غيرياً.

٦) لم يحكم القرآن على الفرح بالمدح أو الذم من حيث هو شعور فطري انفعالي لدى الإنسان، وإنّما حكم عليه بناء على مصادره، وآثاره الناجمة عنه. وتحدث القرآن عن ثلاثة أنواع من الفرح هي: **فرحُ المؤمنين المحمودُ:** بالإسلام ومبادئه وتعاليمه، وبالقرآن وهداياته، وبالله رباً وبذكره، وبعزّة الإسلام وانتصار الحق وزهوق الباطل، وبنعم الله وشكره، وبالجزاء الرباني على أعمالهم، وبالطاعات. **وفرحُ أهل الباطل المذموم من المشركين والمنافقين واليهود والمترفين:** بالشرك والباطل والبدع؛ وبالنعم بطراً وافتتاناً بها، وبالمعاصي والفواحش والموبقات. وبمصائب المؤمنين ورزاياهم شماتة وحسداً وحقداً، وبالكذب والخيانة والادعاءات الفارغة على الإنجاز الذي لا صورة له ولا أثر له في أرض الواقع. **والفرح الفطري المباح للناس جميعاً:** بمناظر الطبيعة

4/30/2024

وعناصر البيئة، من خضار الأرض وأشجارها وحدائقها، والمطر، والطقس والمناخ، والألوان الزاهية والمناظر الحسنة. وهذا اعتناء للإسلام بقيمة الجمال والمحافظة على البيئة.

٧) نبّه القرآن الكريم إلى أهمية موضوع الفرح وخطورته لدى الإنسان، وبيّن في آياته أنّه انفعال يرافقه منذ أن يفتح عيناه في هذه الحياة الدنيا، وحين ينتقل إلى الحياة البرزخية، وفي الحياة الأخرى الباقية. وجعل الفرح الدنيوي قدراً مشتركاً للناس جميعاً وأطنب في التحذير من كثير من مظاهره الفاسدة؛ في حين خصّ الفرح البرزخي للمؤمنين خصوصاً الشهداء؛ وكذلك خصّ الفرح الأخروي للمؤمنين؛ وكأنه أراد أن يلفت أنظار البشر إلى خطورة موضوع الفرح الآني في هذه الحياة الدنيا، وأنه قد يكون وسيلة نجاة ينجو بها صاحبه في الدّار الآخرة فيعيش فرحاً أبدياً باقياً، وإمّا أن يكون دهليزاً ونفقاً مظلماً ينحدر منه صاحبه إلى مستنقع العذاب في يوم لا تنفع فيه شفاعة الشافعين.

4/30/2024

مراجع البحث

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب التفسيروعلوم القرآن:

١) **إتقان البرهان في علوم القرآن**، فضل عباس، ط٢، ج١، دار النفائس، عمان، ٢٠١٠م.

٢) **أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ.

٣) **البحرالمحيط في التفسير**، أبو حيان محمد ابن حيان الأندلسي تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٤) **التحريروالتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٥) **تفسيرالقرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩ هـ.

٦) **تفسيرالمنار(تفسيرالقرآن الحكيم)**، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

٧) **التفسيرالمنير**، وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ١٤١٨هـ.

٨) **جامع البيان في تأويل القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٩) **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.

١٠) **روح المعاني في تفسيرالقرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: المحقق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

١١) **السراج المنيرفي الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية. بيروت، د.ت.

١٢) **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ط١٧، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤١٢هـ.

١٣) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

١٤) **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.

١٥) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة وتقديم:محيي الدين ديب مستو، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٦) **معالم التنزيل في تفسيرالقرآن**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

١٧) **مفاتيح الغيب**، أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

4/30/2024

ثالثاً: كتب الحديث النبوي وعلومه:

١٨) **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)**، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١٩) **صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢٠) **صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)**، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٢١) **مستخرج أبي عوانة**، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٢) **مسند أبي يعلى**، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق : حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤م.

٢٣) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م.

رابعاً: كتب المعاجم والغريب:

٢٤) **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

٢٥) **الفروق اللغوية**، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢٦) **كتاب الكليات**، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٧) **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية**، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.

٢٨) **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤هـ.

٢٩) **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،دار الفكر، عمّان، ١٩٧٩م.

٣٠) **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ١٤١٢هـ.

خامساً: كتب الأخلاق والسلوك وعلم النفس والاجتماع:

٣١) **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

4/30/2024

٣٢) **سيكولوجية السعادة**، مايكل أرجايل، ترجمة: فيصل عبد القادر يوسف، مجلة عالم المعرفة، العدد (١٧٥)، يوليو ١٩٩٣م.

٣٣) **الفكاهة والضحك: رؤية جديدة**، شاكر عبد الحميد، مجلة عالم المعرفة، العدد (٢٨٩)، يناير ٢٠٠٣م.

٣٤) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.

٣٥) **من الفكروالقلب: فصول من النقد في العلوم والاجتماع والأدب**، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفقيه للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

سادساً: رسائل علمية:

٣٦) **الفرح والحزن في ضوء السنة النبوية: دراسة موضوعية**، نادر نمر وادي، رسالة ماجستير في الحديث الشريف وعلومه، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠م. منشور على موقع المكتبة المركزية الإلكترونية للجامعة الإسلامية بغزة: http://library.iugaza.edu.ps/thesis.aspx

سابعاً: أبحاث ومقالات منشورة على شبكة الإنترنت:

٣٧) **الأبعاد النصية في ألفاظ الفرح والحزن في القرآن الكريم**، رياض حمود حاتم، بحث من (٢١) صفحة، منشور في موقع جامعة بابل، كلية الدراسات القرآنية، العراق، على الرابط الآتي:
http://www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/service_showarticle.aspx?fid=19&pubid=2210

٣٨) **الفرح في الميزان**، أحمد بن عبد العزيز المنصور، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، دار الوطن للنشر، ١٤٢٢هـ، كتيّب صغير من (٢٣) صفحة منشور بموقع الكتيبات الإسلامية:
www.ktibat.com

٣٩) **الفرح في ضوء القرآن الكريم**، زيد عمر العيص، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٣٣هـ، بحث منشور على الإنترنت بموقع ملتقى أهل التفسير على الرابط:
http://vb.tafsir.net/attachments/attachments/tafsir4620d1326610822/

٤٠) **فقه الفرح في الكتاب والسنة**، أمين نعمان الصلاحي، مقال منشور في موقع: شبكة ألوكة الشرعية التي يشرف عليها الدكتور سعد بن عبد الله الحميد، والدكتو خالد عبد الرحمن الجرسي:
http://www.alukah.net/sharia/0/58742/

المراجع الأجنبية:

41) Henderson, M. Argyle, M. and Furnham, A. (1984). The assessment of positive life events., Unpublishe